روايات
ALHAN
ألحان

لا تكذبي

١٣٥

www.elromancia.com
مرمورية

ثمن النسخة							
لبنان	٢٠٠٠ ل	الكويت	٧٥٠ف	مصر	٣ ج	CanadA	5$
سوريا	٧٥ ل	الامارات	١٠ د	المغرب	١٠ د	U.K	1.5
الأردن	١ د	البحرين	١ د	ليبيا	١ د	France	15F.F
العراق	٥٠	قطر	١٠ ر	تونس	١.٥ د	Greece	1200Drs.
السعودية	٦ ر	مسقط	١ د	اليمن	٧٥ ر	CYPRUS	1.5 P.

أسرعت "روبين" مذعورة إلى باب الحمام غير المغلق تماما :

- "باتريك" ؟ أنت بخير ؟

أجابها متهكما :

- لا زلت على قيد الحياة .

خاطرت "روبين" بأن القت نظرة إلى الداخل . رأت جسدا رائعا ممددا على الأرض وبيده اليمنى منشفة . صاحت متسائلة وهي تتعجب إزاء سمرته الساحرة :

- ياإلهي ! معذرة . كان ينبغي أن أحذرك من هذا الطائر فهو مولع بوابل المياه .

جلس "باتريك" محيطا حقويه بالمنشفة ، القى بنظرة في اتجاه الطائر الذي كان بسبيله إلى الهبوط تحت وابل المياه . قال :

- عندما هبط هذا الطائر معي حوض الاستحمام خرجت منه مسرعا فانزلقت قدمي فوق شيء ما ... أعتقد أن كعبي قد كسر .

- أرى أن أستدعي لك الطبيب .فقال :

- أرى أن تعاونيني أولا على العودة إلى الرواق . وضعي هنا غير مريح .

انحنت "روبين" نحوه لكنها سرعان ما توقفت أمام جسده العضلي الرائع . استشعر ترددا من جانبها فقال :

- سأحاول بمفردي. من يراك يعتقد أنك لم تري رجلا عريانا قط .

شخصيات الرواية

- "روبين ماك كينا" : بطلة الرواية ... أرملة شابة مهتمة بشؤون المحافظة على الطبيعة.
- "چويي ستوكتون" : طبيب بيطري صديق ، يعاونها في مهمتها .
- "مارچ" : زوجته .
- "بيتسي" : ابنته .
- "پاتريك برادي" : صحفي ، بطل الرواية ، صديق "چويي" .
- "بيل مارش" : صحفي صديق له .

الغلاف الأمامي

هذه قصة حب تلقائية نبتت وسط المروج ، وترعرعت في أحضان الطبيعة في موقع خصص لحمايتها بكل ماتضم وما تعني حيث نزل "پاتريك برادي" ضيفا جريحا على "روبين ماك كينا" في محميتها الطبيعية المصغرة .. حتى يكون تحت ملاحظة دقيقة منها على مدى بضع ساعات متتالية بناء على توصية من الطبيب المعالج .

مرت الساعات ولم يقع أثناءها مايشير إلى حدوث مضاعفات... لكن .. وإذ كان "پاتريك" يتاهب للرحيل أصيب بالتواء حاد بقدمه على أثر سقوطه أثناء الاغتسال .

أحست "روبين" بسعادة غامضة إزاء هذه الظروف التي من شانها أن تبقيه تحت سقفها بضعة أيام أخرى .. ورحب هو بالامه التي سوف تمكنه من التعرف عليها بقدر أكبر ...

لكن ... ماذا وجد وكيف تصرف ...؟!

www.elromancia.com

الفصل الأول

تاملت "روبين ماك كينا" الجالس فوق المقعد الخلفي للسيارة والذي زينت صدغه ضمادة بيضاء قائلة :

"چويي" ، ليس كالفار الأبيض الجريح تماما .

أجابها "چويي ستوكتون" :

- اعلم يا "روبين" . لكن لاحظيه من فضلك . طلب الدكتور "مارتن" وضعه تحت الملاحظة مدة ساعتين أو ثلاث .

- لايمكنك وضعه تحت الملاحظة عندك ؟

- اصطحبت "مارج" "بيتسي" إلى بيت جدتها لقضاء بضعة أيام واتحين هذه الفرصة لتركيب بعض تجهيزات العيادة.

- أولا ... من هو ؟

- "پاتريك برادي" "إشبين بيتسي" . حدثتك عنه مالا يقل عن مائة مرة . حضر للعمل هنا في سرية ... في أحد المشروعات. وسمع صوت بالسيارة :

- لم أحب أن أسبب لكما انزعاجا ، لكن آلام راسي تلح علي بشدة .

قالت "روبين" :

- آسفة !

طالبت العيادة التي كان قد أودع بها عناية خاصة . قالت مؤكدة:

- سوف نعاونك على المشي.

- سوف أسير بمفردي ...

غادر "پاتريك" السيارة مترنحا مرتخي الركبتين . أسرع "چويي" و"روبين" يمسكان بذراعيه في ذات الوقت .

صاحت المراة الشابة :

- لست أحمق ؟

قال "پاتريك" مزمجرا باسلوب رجل لم يعتد طلب المساعدة :

- حسنا . أعيناني .

أدخلاه الكوخ الصغير واصطحباه حتى السرير الكبير المصنوع من النحاس .الذي احتل ركنا من رواق غلف سقفه وجدرانه بالواح من أخشاب الأرو على طراز ريفي . وعندما انحنى الجريح ليخلع حذاءه تنحنحت "روبين" فرفع الرجل راسه متسائلا :

- ماذا ؟

- لم تجب على سؤالي بعد .

- أي سؤال ؟

- ما إذا لم تكن أحمق ؟

- ماذا تعنين؟

فاشارت بسبابتها إلى الضمادة قائلة :

- طرحت هذا السؤال لما بدا لي انك تخوض مغامرات سريعة الحركة...

صر "پاتريك" أسنانه على اثر وخز مفاجئ براسه .

أراد أن يعرف : ما إذا كان هناك مبرر لماتقوله ؟ لم تمض بضع دقائق حتى وجد نفسه ممددا فوق الفراش تحيط به الوسائد والمساند المريحة تخفف من آلامه ، وفي إحدى يديه كوب ماء وفي الأخرى قرصا أسپرين

www.elromancia.com

قطبت "روبين" حاجبيها أمام هذا المنظر . بدا أكثر ارتياحا مما كان عليه في بيته رغم أغطية فراشه المزينة بالورود . وشعره الأشعث كان بسواده الداكن وبريقه غير العادي بمثابة دعوة موجهة إلى أصابعها لتمر فيه وتتنعم . لذا اضطرت إلى أن تقبض راحتيها حتى تتمكن من مواجهة هذا الإغراء .

كانت عيناه عسليتين تحفهما أهداب قاتمة أضفت عليهما جمالا غير عادي وهما يتاملانها . سالها :

- هل هذا لون شعرك الطبيعي ؟

ألقت بنظرة في اتجاه "چويي" الذي بدا وكأنه يراقبهما باهتمام شديد قبل أن تقول :

- نعم . إنه لونه الطبيعي . "چويي" ما الذي حدث له ؟

تدخل "پاتريك" على الفور قائلا :

- لماذا لاتحدثينني أنا ؟

لم يعتد أن يتجاهل أحد وجوده خاصة النساء . وتستهويه دائما ذوات الشعر النحاسي اللون .

- حسنا . ما الذي حدث لك ؟

- مشاجرة مع أحدهم .

- بشأن ماذا ؟

- بشأن مصير المبلغ الذي بحافظة نقودي .

نظرت "روبين" إلى "چويي" مستفسرة . كان قد جلس فوق المقعد المتارجح بجوار الفراش وقد ارتسمت ابتسامة على شفتيه . قالت بنبرة تحفظ :

- فهمت .

وضع "پاتريك" يديه خلف رأسه رافعا كعبيه :

- رأى أنه ينبغي علي أن أمنحه هبة وكنت أرفض ذلك .

- هبة خيرية ؟

- نعم ... لحافظة نقوده .

- أرى أنه قد كسب الجولة ؟

رفع "پاتريك" كتفيه :

- حصل على الهبة ، إذا كان هذا ماتستفسرين عنه .

- لكنه لابد أن يكون قد أصابك حتى يحصل عليها .

فقال "چويي" :

- ليس بالضبط .

فالتفتت "روبين" نحوه متسائلة :

- كيف إذن ؟

- بدأ "پاتريك" يتعقب سارقه فانزلقت قدمه فوق غطاء بالوعة وارتطم رأسه بالرصيف .

- غطاء بالوعة ؟ و ليس بكل المدينة سوى بالوعتين .

فقال الرجل الجريح :

- لاباس . إحداهما تورطت معي في دعابة ثقيلة .

قالت "روبين" :

- صدمت أنفك . أليس كذلك ؟

وغيرت ضحكتها - التي انتقلت بسهولة إلى الرجلين مثل العدوى- كل ملامح "پاتريك" . اتقدت عيناه العسليتان المذهبتان وأغرتها شفتاه بمعرفة كيف ستبدوان بعد تقبيله إياها قبلة طويلة حارة ... وشعره الجميل لم يتطلب سوى أن يسوى - فوق وسادة... - بيديها .

كانت "روبين" في نظره أكثر من رأى من جنس المرأة جاذبية منذ زمن طويل . رأى أنها لايمكن أن تكون من نصيب رجل مثله . لأنه كثير الترحال والتنقل . وهو خفيف يحمل حقيبة واحدة دون سواها بها مستلزماته الضرورية .

أحس مع ذلك أن قربه منها يعود عليه بالسعادة . ربما لاتمانع في مغامرة بلا غد ؟ هكذا كان يتساءل بينما انخرطت هي في مناقشة مع "چويي" ، رآها نشيطة لا تكف عن الحركة .

رقد "پاتريك" يبحث عن وسيلة يحول بها هذا النشاط الفاتن إلى

www.elromancia.com

شخصه .

حين اغمض عينيه اشارت "روبين" إلى "چويي" بمغادرة الحجرة.

- مادمت ستتركه هنا لي فحدثني عنه لان كل ما اعرفه هو ان بيتسي" تحبه إلى حد العبادة وانه يعيش في إحدى المدن الكبيرة .

- في "واشنطن" ...

نظر إلى ساعة يده :

- ينبغي أن امضي حتى اجري العملية للكلب الكانيش . ساتصل بك هاتفيا فيما بعد .

- ليس بهذه السرعة .

وضعت يدها فوق ذراعه قائلة :

- انت و"مارچ" اعز صديقين لي . لذا ارجو الا تتهرب من اسئلتي. ما عمله؟

- إنه .. أووه .. صحفي .

- صحفي !

وابتعدت عنه منزعجة :

- صحفي في بيتي ؟ مع انك تعلم كم اتحاشى هذا الجنس حتى لايحطم حياتي كلية !

ارتفع صوتها تدريجيا بحيث نهض الكلب الذي كان نائما تحت شرفة المدخل واقبل نحوها يتمسح في ساقها مطالبا بان تربت ظهره .

ومسحت "روبين" راسه بيد مرتعدة .

- لماذا لم تخبرني بذلك قبل الآن ؟

- لانني اعلم أن هذا سيكون رد فعلك . "روبين" ينبغي أن تعلمي أن ليس كل الصحفيين مثل اولئك الذين تعاملت معهم . "پاتريك" صحفي امين مختص بتقصي الحقائق .

- ينبغي أن تعلم أن صفة الأمانة لاتتسق مع مهنة الصحافة. يمكن على أية حال أن يقضي ليلة هنا على أن أجد له مكانا اخر غدا .

- حسنا . احرصي على أن يظل مستيقظا تماما على مدى الساعتين

حتى تطمئني إلى انه بخير . إذا أصابه غثيان أو اشتدت آلامه فاتصلي بالدكتور "مارتن" .

- أؤكد لك انك ستدفع لي ثمن هذا غاليا يا "چويي" !

قضت "روبين" ليلتها بجوار سريره فوق المقعد المتارجح . ظلت على مدى الساعتين توقظ "پاتريك" كلما استغرق في النوم وكان يفتح عينيه متمتما بكلمتي نعم يا "روبين" والنوم يغالبه قبل أن يستغرق في النوم مرة ثانية . ظلت تلاحظه طويلا . من الغريب أنه لم يبد انه واحد من تلك النوعية التي من الممكن أن تجلب لها المتاعب ومع ذلك بدا كانه بسبيله إلى تغيير حياتها .

ذكر "چويي" امامها مرارا وتكرارا على مدى بضع سنوات مدى إعجابه بـ"پاتريك" . كانت تعلم انهما زميلان منذ ايام الدراسة وانهما كانا يذهبان معا إلى المدرسة وبصحبتهما الشقيق التوءم لـ"پاتريك" . وان "پاتريك" كان دائما الأول على فصله. اما فيما يختص بحياته العملية فعلمت انه كثير السفر وانه حريص على الا يقطع صلة ابنته بالعمودية والتي دائما ماتتلقى منه البطاقات البريدية والخطابات والهدايا .

اوت "روبين" إلى فراشها في النهاية حتى يمكنها أن تستيقظ في السادسة صباحا كالمعتاد . ارتدت بعد اغتسال سريع بنطلونا آخر من الچينز مع قميص نظيف وحذاء طويل من الجلد .

ما إن دوت خطاها فوق الأرضية الخشبية بدت القاعة وكانها تبعث من جديد وتدب فيها الحياة ، زحف الفار الأبيض ذو ثلاث الأرجل إلى ما فوق الوسادة بالقرب من راس "پاتريك" وغادر "ريتز" - ذكر البط المشاغب الذي لم يكن له سوى جناح واحد- العش الذي كان قد صنعه لنفسه عند قدم السرير بتجميع أشياء مختلفة معا . ربضت "شانيل" العرسة الكسيحة فوق منضدة المطبخ تراقب المشهد بانسجام بعينيها المستديرتين . ابتسمت "روبين" .

بدت دار الإيواء على خير مايرام . لم تكن لتحتفظ بهذه الحيوانات

بالداخل طوال الليل عادة ، لكنها شغلت بالعناية بـ"باتريك" بالأمس إلى حد نسيت معه أن تودعها أماكنها .

أطعمت هذه الحيوانات ثم ارتدت قفازيها الجلديين السميكين وغادرت الشقة تحمل على كتفها كيس حبوب وبيدها سلة خضراوات طازجة مقطعة إلى أجزاء صغيرة .

عندما استيقظ "باتريك" أحس بانه بحالة أفضل بكثير عن ذي قبل. أصبحت آلام رأسه- التي ألحت عليه طوال الليل حتى وهو مستغرق في النوم - لا تعاوده إلا بين الحين والحين وعندما يتحرك .

نظر إلى ساعة الحائط فرأى أنها السابعة والنصف . لم يستيقظ قط في مثل هذه الساعة المبكرة على مدى الأشهر الماضية على الأقل . اعتاد أن يظل نائما حتى الحادية عشرة ولايغادر البيت قبل منتصف النهار ولا يعود إلى بيته قبل السابعة مساء ، ثم يعمل في هدوء حتى الثالثة أو الرابعة صباحا .

كان أول ما اتجه إليه تفكيره هو مضيفته ذات الشعر النحاسي البراق السابح بحرية فوق كتفيها والعينين الخضراوين الذهبيتين. حاول أن يقنع نفسه بانها ليست من نوعية النساء اللاتي تستهوينه لأنه كان يفضلهن راقيات متحضرات لايمانعن أبدا في قضاء ليلة ممتعة معه .

وإذ أحس بانه أقرب إلى حالته الطبيعية ارتدى ملابسه على الفور وبدأ يتأمل المكان من حوله . كان المقعد المتارجح قريبا منه وغطاء الفراش فوق قائم السرير النحاسي . وبجوار النافذة وقفت الثلاجة التي لايمكن أن يقل عمرها عن عشرين عاما . أما الموقد فكان أكثر قدما . وأمدت حوض غسل الأواني بالمياه مضخة من الزهر وفي وسط منضدة المطبخ ربضت ... ماهذا ؟

عرسة كسيحة ؟

ركز "باتريك" بصره ... نعم إنها عرسة ذات ذيل جميل . يالها من ديكورات غريبة تلك التي يضمها هذا المكان !

أحدث الباب صوتا وهبطت العرسة من فوق المنضدة ، تنهد "باتريك" . لاشك في أن إصابة رأسه أكثر خطورة مما كان يظن .. فاجأته "روبين":

- تبدو بحالة أفضل هذا الصباح . كيف حالك ؟

- يبدو أن قطار البضائع الذي كان يسير في رأسي أمس قد ترك الساحة للترام .

افتتن "باتريك" بحركة وجهها الشيطانية التي لوت شفتيها وأضاءت عينيها .

قالت :

- هذا أفضل بكثير ! نامل أن يترك الترام الساحة قريبا لدراجة بخارية ... إنني أعد لك فطورك . تناولت فطوري في وقت سابق .

عندما أحضرت إليه صينية الفطور في الفراش اعترض قائلا :

- يمكنني تناوله على المائدة .

- لا أريد لك أن تخاطر بالحركة الآن خشية أن تصاب بالدوار .

فقال بإصرار :

- سوف أتناول فطوري على المائدة .

وحمل الصينية إلى منضدة المطبخ .

تنهدت "روبين" . كان "باتريك" أكثر المخلوقات التي عنيت بها إباء واستقلالا . كانت خبرتها بالحيوانات المفترسة عالية جدا . استطاعت تغذيتها وتضميد جراحها سواء أرادت الحيوانات ذلك أم رفضته . علمت أنه لا ينبغي أن يغيب بصرها عنها قط وإلا توليها أدنى قدر من الثقة لما لها من عادة مزعجة هي عض اليد التي تطعمها . وعلى ذلك رأت أن لا مجال للارتباط بها عقب شفائها واستعادة حريتها .

التهم "باتريك" كل ما أعدته له من الطعام بشهية مفتوحة أما هي فرأت أنه ساحر غير عادي . قالت محدثة نفسها بلوم وهي ترفع ما فوق المائدة :

"ما الذي أصابني حتى افتتن بهذا الرجل مثل امرأة وحيدة تعاني الإحباط ؟" تلافت نظراته بعناية تامة وهي تقوم برفع الأواني، لكنها

www.elromancia.com

أحست بأن عينيه لم تفارقاها لحظة واحدة . سألها:

- ماذا تفعلين في هذه البقعة الريفية ؟

كانت "روبين" قد أملت على نفسها تجاهل وجوده حتى كادت أن تنساه بالفعل . لذلك كان سماع صوته مفاجأة لها ، كادت أن تسقط دورق عصير البرتقال من بين يديها .

- أعمل في مجال الحفاظ على الطبيعة .

دفع مقعده إلى الخلف قليلا ومدد ساقيه أمامه :

- وما مجال الحفاظ على الطبيعة ؟

أجابته بنبرة جافة :

- أحاول حماية الحياة البرية . ماذا كنت تعتقد ؟

- كانت عرسة إذن تلك التي رأيتها هناك فوق المنضدة ...

جاءت نبرته تنم عن الاقتناع والارتياح .

- إنها "شانيل" .

- مم تحاولين حماية هذا الحيوان ؟

- لا يمكنني أن أتركها في الحياة البرية قبل أن تشفى تماما . لأنها ستكون بلا قدرة على الدفاع عن نفسها بسبب أنها قد أقامت فترة طويلة جدا مع الآدميين .

- كم عدد الحيوانات المقيمة لديك من هذه النوعيات ؟

- ليست كثيرة . لأن العدد الأكبر من الحيوانات التي أتولى تمريضها والعناية بها يصبح قادرا على استئناف حياته الطبيعية .

- والحيوانات التي لا تستطيع ذلك ؟

- عادة ما أنجح في إلحاقها بملجأ أو بحديقة حيوان طبيعية وإلا فرض علي وجودها مشكلات لا قبل لي بها خاصة في حالة الغزلان .

- لماذا ؟

- لأنها تستأنس بسهولة فائقة بحيث تفقد كل ريبة في بني البشر ... وينتهي بها المطاف إلى أن تكون وجبة شهية على مائدة أحد الصائدين .

لم تبد "روبين" في نظر "باتريك" واحدة من المهتمين بعلوم البيئة العاملين في مجال الطبيعة المفتوحة ، لأنه رأى أنها أقرب إلى عارضة أزياء منها إلى أي شيء آخر . فقد كشف البنطلون الجينز البالي الذي ارتدته عن ساقين جميلتين طويلتين ، بينما كشف القميص الفضفاض عن منحنيات جسدها الفاتن . لم تؤت ذلك النوع من الجمال الكلاسيكي بل كانت سماتها متقلبة جدا مما أضفى عليها دفئا وسحرا لا يقاومان .

مدد "باتريك" ساقيه عندما بدأت ترتيب ركن المطبخ بطاقة غير عادية .

قالت وبيدها قطعة قماش للتنظيف وقد بلغت مكانه :

- أتسمح لي ؟

فأجابها دون أن يبرح مقعده :

- لا مانع لدي لأنك لا تضايقينني في شيء .

- أنت الذي تضايقني . لماذا لا تتجول في المكان قليلا لحين أن يحضر "جوبي" ويصطحبك معه؟

توجه "باتريك" إلى السرير النحاسي حيث جلس على حافته . كان بالأمس رافضا فكرة قضاء ليلة أو ليلتين هنا في أحضان الطبيعة واليوم يجد نفسه غير مقتنع بفكرة الرحيل من هنا . إنه يريد أن يعرف المزيد عن "روبين ماك كينا" الفاتنة .

تساءل في صمت : هل تعلم إلى أي مدى تسحره عيناها ؟

كانتا تتقلبان بين الحين والحين بين الفتور والدفء وبين تعبيرات المرح والأسى وتبدوان مفتوحتين تارة ومتحفظتين تارة أخرى . راقبتاه في تلك اللحظة بقدر يعتد به من الريبة والتشكك . أراد "باتريك" أن يؤكد لها أنه رجل سليم الطوية لكن ذلك كان كذبا . فقد تباهى بمقالاته المدوية التي حمل فيها على كافة أشكال الفساد السياسي . وإذا اضطرته الظروف إلى أن يلجأ إلى بعض الحيل الدنيئة في سبيل الحصول على ما يريده من معلومات فإنه لن يتردد . لا ولن يتظاهر بأنه أبيض مثل الثلج . كان - ببساطة تامة - يمقت الخفايا وقد أوتي موهبة التنقيب عنها .

www.elromancia.com

نهض واقفا لاويا فمه لأن سقوطه كان قد سبب له توترا معينا .

ربما تمنحه "روبين" إذنا بالاغتسال بالماء الساخن قبل الرحيل ؟ كان غير واثق بإجابتها على ضوء الأسلوب الذي اتبعته في تنظيف بقعة بالبلاط . لابد أنها تتحرق شوقا لأن تراه يجلو عن المكان . سألها بنبرة مهذبة للغاية :

- أترين أي مانع من أن أغتسل ؟

قالت وقد رفعت عينيها نحوه ببطء :

- تفضل . المناشف موضوعة فوق الرف بالقرب من حوض الاغتسال.

وعندما توجه إلى دورة المياه . قالت له مسرعة :

- الباب لا يقفل تماما بسبب بروز قطعة من خشب الأرضية .

فأجابها مازحا وعلى شفتيه ابتسامة عابثة جعلت وجنتيها تتوردان:

- بهذا يمكنك رؤيتي وأنا أستحم .

وبالفعل أمكن "روبين" من خلال الفتحة الضيقة للباب أن تتابع بأذنيها جميع حركات "باتريك" .

قالت تحدث العرسة وهي تأخذ معها القفاز الجلدي :

- ينبغي أن أعود الآن إلى الخارج .

عادت بعد ربع الساعة لتأخذ مضادا حيويا وضمادة من أجل الثعلب الجريح الذي كانت تؤويه لديها . عندما فتحت الباب تحين "ريتز" الفرصة وتسلل إلى الرواق أثناء دخولها يضرب الهواء بجناحه الوحيد متوجها إلى دورة المياه راسا . صاحت دون جدوى :

- لا . "ريتز" ! ... "باتريك" احذر !

وحال صوت وابل المياه الساخنة دون أن يسمع تحذيرها وسرعان ما سمعته يصيح معترضا :

- ما هذا بحق السماء ؟

ثم سمعته يسقط ...

أسرعت "روبين" مذعورة حتى وصلت إلى الباب غير المغلق تماما

لتسأل :

- "باتريك" ؟ أنت بخير ؟

فقال متهكما :

- لازلت على قيد الحياة .

خاطرت "روبين" بأن ألقت نظرة إلى الداخل . رأت جسدا رائعا ممددا فوق الأرض تمسك يده اليمنى بمنشفة . صاحت متسائلة وهي تتعجب إزاء سمرته الساحرة :

- يا إلهي ! معذرة . كان ينبغي أن أحذرك بشأن ذكر البط ، فإنه مولع بوابل المياه .

جلس "باتريك" محيطا حقويه بالمنشفة . ألقى بنظرة إلى ذكر البط الذي كان بسبيله إلى الهبوط تحت وابل المياه .

- عندما هبط هذا الطائر بحوض الاستحمام معي خرجت منه مسرعا وانزلقت قدمي فوق شيء ما ... أعتقد أنني أصبت بكسر كعبي .

لوت "روبين" وجهها فقد تورم كعب قدمه اليسرى بالفعل . قالت:

- من الأفضل أن أتصل بالدكتور "مارتن" .

- يمكنك أولا معاونتي على العودة إلى الرواق ؟ وضعي هنا ليس مريحا جدا .

انحنت "روبين" على الفور لتتوقف ساكنة تماما أمام صدره العضلي الرائع الذي تلألأ بمئات قطيرات الماء وكبحت أنفاسها . قال إذ رأى تردها :

- سأحاول بمفردي .

ظلت يمناه ممسكة بالمنشفة التي أحاطت بحقويه بينما استخدم يسراه في الاستناد إلى حافة حوض الاستحمام والنهوض بلا مساعدة ظل واقفا على قدمه السليمة حتى يثبت المنشفة جيدا فوق حقويه .

- من يراك يقول إنك لم ترى رجلا عريانا قط .

أطلقت "روبين" الأنفاس التي كانت تكبحها .

- إنني ... ليس مؤخرا لا ... هل آلامك شديدة ؟

www.elromancia.com

انتاب "باتريك" إحساس غريب بالرضا . ليست مضيفته على علاقة باي شخص حاليا إذن .

- آه . لا ... اشعر بان كعبي في حالة تخدر كامل .

- أعتقد أن هذا مؤشر جيد ...

قفلت صنبور الـ"دش" وأطلق ذكر البط أصوات الاعتراض . وقفت إلى جوار "باتريك" قائلة :

- هيا استند عليّ .

طوق كتفي "روبين" باحد ذراعيه قائلا :

- ضعي ذراعك حول خصري .

وأطاعته واستقرت يدها الصغيرة فوق لحم جنبه العضلي الرطب . عندما أحست بشدة خفقان قلبها ظنت أن السبب راجع إلى أنها لم تقترب من قبل من أي صحفي إلى هذا الحد .

نجحا في قطع المسافة التي كانت تفصلهما عن الفراش وعندما استدار "باتريك" كي يجلس فوق حافة الحشية عاق قدما "روبين" طريقه فسقط كلاهما معا فوق الفراش .

- آه . "باتريك" هل أنت بخير ؟

- كعبي يؤلمني بشدة تقربني من الموت .

فتح عينيه ليرى وجه "روبين" على قيد عشرة سنتيمترات من وجهه فاستطرد قائلا وقد دبت بداخله قوة خفية :

- وأرى أنني أتحسن من دقيقة لأخرى .

أحست "روبين" برغبته الشديدة فيها على الرغم من شدة معاناته آلام كعبه المبرحة فتنبهت إلى الوضع الذي كانا عليه. كانا جسدا قبالة جسد بينما تشابكت سيقانهما . والتقت نظراتهما فعجزت "روبين" عن الحركة تماما ، عجزت عن مجرد تحويل بصرها بعيدا عن "باتريك" الذي حنى رأسه مقبلا شفتيها مرة ثم مرة ثانية ...

أرادت مزيدا ، مزيدا بقدر كبير ... وبعنف شديد ...

قالت بعد ما أصبحت بعيدة عن الفراش بقدر معقول :

- إنني سعيدة بانك تشعر بتحسن . هل ثمة ما يمكنني أن أفعله من أجل راحتك ؟

تاملها بنظرات الاستحسان ثم قال وهو يحاول أن يكبح ابتسامة شيطانية :

- ليس الآن يا "روبين" . راسي يؤلمني بشدة . لكن في القريب العاجل بإذن الله . في القريب العاجل جدا ...

أخفت "روبين" وجلها تحت ستار الممرضة المحترفة بمعاونة "باتريك" على الرقاد في الوضع الصحيح فوق الفراش . اتصلت بعد ذلك بالدكتور "مارتن" ثم عادت إليه لتخبره بنبرة فاترة :

- سوف يمر بنا لرؤيتك حوالي وقت الغداء . ومن الآن حتى وقت مجيئه ينبغي رفع كعبك فوق وسادة ووضع كيس ثلج فوقه .

تحاشت نظرة الإعجاب التي رمقها بها وغادرت المكان مسرعة إلى الشرفة ، حيث وقفت هناك مستغرقة في تفكير عميق . شغل عدد من الأمور ذهنها . أولها ابتسامة الرضا التي لاحت على وجه "باتريك" ثم الإحساس بانه من المؤكد ألا يبرح بيتها قبل بضعة أيام . لم تسعدها هذه الفكرة بقدر كبير لكنها تمنت لو أنها لم تجعلها مهمومة إلى هذا الحد . وكان هذا هو الشاغل الأكبر لديها .

www.elromancia.com

الفصل الثاني

راقبت "روبين" سيارة الطبيب وهي تبتعد . لحسن الحظ أن فحصه قد أسفر عن وجود خلع بكعب "باتريك" . لو كان هناك كسر بالكعب لما كانت إقامته لديها لتطول عن بضعة أيام فقط . وقد اقترح الذهاب إلى صديق "چوبي" لكن الطبيب البيطري كان مشغولا بتركيب بعض التجهيزات بعيادته فضلا عن غياب "مارچ" أيضا . وفي ظل هذه الظروف أصرت هي على أن تسهر على رعايته على الأقل لأن الخطأ الذي ترتبت عليه إصابته راجع إلى ذلك الطائر الذي في ضيافتها .

قدم "باتريك" لها على مائدة الغداء دليلا جديدا على نشاط شهيته وقال :

- الوجبة متميزة جدا .

ثم ناولها الصينية ودخل تحت الغطاء . رأت "روبين" حركة عضلات صدره العاري وأحست برغبة ملحة في أن تمد يدها إلى شعر صدره لترى : ما إذا كان حريري الملمس كما يبدو ؟ وما إن أحست بأن عينيها قد اتجهتا إلى صدره أملت على نفسها أن ترفع رأسها ... لتلتقي

بابتسامة عريضة على وجهه . إذا كان صدره مغويا فابتسامته مكتسحة .

اضطرت إلى أن تبذل جهدا مع نفسها حتى تغادر المكان حاملة الصينية .

تساءلت في صمت : "ما الذي أصابني ؟ لا ينبغي أن يشعر بمدى تأثير جاذبيته علي !"

شعر "باتريك" بذلك إلى أبعد الحدود وأحس أيضا بمدى حساسية مضيفته منذ اللحظة التي التقيا فيها ورأى أنها حساسية طبيعية جدا تضارع تلقائية أنفاسها .

واتت الرياح بما لم تشته السفن في تلك الآونة كما يقولون . إذ كان لديه مقال طويل يتعين الانتهاء منه على وجه السرعة لأن رئيس التحرير مهتم به ويطلب سرعة إعداده ولا ينبغي أن يكون طريح الفراش في ظرف كهذا .

فاجأته "روبين" بأن عادت إلى الحجرة وكادت عيناه أن تلتهماها . سألته :

- أنت بحاجة إلى أي شيء آخر ؟

فتساءل في صمت : وكيف ! لكنه لم يكن في حالة طبيعية بما يكفي لأن يفكر في أمر كهذا . ليس الآن .

- إنني بحاجة إلى موسى ...

ومرر راحته فوق ذقنه مستطردا :

- لم يتوفر لدي الوقت هذا الصباح بسبب ذلك الطائر . أود أيضا غسل أسناني بالفرجون .

أسرعت "روبين" تحضر له فرجون أسنان جديدة . ربما تكون ابتسامته أقل إغواء وهذه الفرجون في فمه ورغوة معجون الأسنان على شفتيه ..

أعطته الفرجون - وعليها قدر مناسب من معجون الأسنان - وكوب ماء وطستا صغيرا .

www.elromancia.com

- ما الذي يلزمك لحلاقة ذقنك ؟

- إذا كان ذلك لا يسبب لك مزيدا من الإزعاج فأريد مرآة وفرشاة حلاقة وصابون وموسى .

حدثت نفسها في صمت : "ما يسبب لي مزيد الإزعاج هو رؤيتك في تمام الارتياح في فراشي" . لكنها اجابته بهدوء :

- سوف أحضرها إليك في غضون ثانية .

عندما عادت كان قد انتهى من غسل أسنانه وقد ظلت بقايا من المعجون عند زاوية فمه فتصورت رائحة المعجون ممتزجة بانفاسه في قبلة تجمعهما . لم تعرف رد فعل كهذا قط في حضور أي من الرجال ، حتى الرغبة التي أثارها زوجها بداخلها كانت تقل عن هذه بمقدار عشرة أمثال وإن لم تعرف علاقتهما فتورا .

لم تتعرض قط إلى مثل هذا الموقف . لقد عملت طويلا وجدت في عملها لترى مشروعاتها تتحطم بتأثير بعض التفاعلات الكيميائية التافهة بجسدها . الرهان كبير جدا بحيث لا يسمح بأن يعترض رجل - ويعمل بالصحافة أيضا - طريقها .

أعطت "روبين" الموسى فامسك به يفحصه بدقة متناهية :

- لم تستخدميه في أي شيء قبل الآن . أليس كذلك ؟

- بلى بالتأكيد !

رمقته بنظرة وابتعدت عن الفراش . قال :

- انتظري !

التفتت إليه بتحفظ ملحوظ :

- نعم ؟

- أود قضاء فترة ما بعد الظهيرة أسفل شرفتك إذا رأيت ذلك مناسبا .

- لا مانع . ساعود بعد دقيقتين بعد ما تكون قد انتهيت من حلاقة ذقنك .

وفوق حبل الغسيل تحت أشعة الشمس تجاورت ملابسها مع ثياب "باتريك" بعد ما دخلت جميعها المغسلة الكهربائية معا بعد الحادثة

التي وقعت بدورة المياه . حدثت نفسها في صمت وهي تثبت الثياب بالمشابك فوق الحبل بانه لسوء الحظ أن يكون على كل هذا القدر من الأدب والتهذيب !

ستكون حياتها أكثر بساطة وراحة لو أنها استطاعت ألا تحبه .

عندما عادت لاحظت وجود عدد من الجروح في وجهه على أثر حلاقة ذقنه ، لكنها رفضت التفوه بأي تعليق وهي تضع له بنطلونه وقميصه وجوربه فوق الفراش . قال :

- معي قمصان مكوية في الحقيبة . هل تتكرمين عليّ بإحضار أحدها ...

قالت بنبرة جافة وهو يمد يده إلى أحد قطع ثيابه :

- إنني كريمة للغاية .

فقال وهي تفتح الحقيبة على الجانب الآخر من الرواق :

- هل تتفضلين باختيار قميص يتفق لونه مع لون عينيّ ؟

- ماذا ؟ بني غامق ؟

- كم أنك متعبة !

لكن الابتسامة رفرفت على شفتيه مطالبة إياها بالمزيد .

أخرجت "روبين" أول قميص امتدت يدها إليه وكان متموجا باللونين الأسود والأصفر . وأغلقت الحقيبة . عندما عادت بالقميص كان "باتريك" قد ارتدى بنطلونه الجينز وتمكن من ارتداء الجورب . راقبته خلسة يدخل ذراعيه في كمي القميص ويقفل نصف أزراره برشاقة رجولية لم تتصورها أبدا ، قال :

- هيا بنا .

قدم لها ذراعه على نحو مهذب لا يتقنه سوى أحد الأمراء .

قالت مقدمة له ذراعها :

- لست أنا المصابة .

أدخل "باتريك" ذراعه ببطء في ذراع "روبين" متعمدا الاحتكاك بذراعها . رمقته بنظرة حادة فانطلق مبتسما متظاهرا بالبراءة وبدأت السير

www.elromancia.com

مبعدة ذراعها عن جسده باقصى قدر ممكن. عندما جلس فوق الارجوحة أسفل الشرفة اقترحت عليه أن تاتيه بمسند لكعبه فاجابها بقوله :

- إنني على أحسن حال هكذا .

- أانت كذلك ؟ أراك متاهبا للاشتراك في سباق "نيويورك" للعدو ومع ذلك سوف أتيك به .

- مادام هذا يسعدك .

- يسعدني إلى حد الجنون !

رمقها بنظرة جانبية :

- أتوق إلى أن أمنحك بنفسي سعادة جنونية .. كما تعلمين !

وسعد أن رأها تبتعد وقد تورد وجنتاها .

تساءل في صمت وقد استبدت الحيرة به : "لماذا تستهويني إلى هذا الحد ؟"

كان يختار لنفسه صديقات ممتلئات الجسم ، ظريفات ، انيقات. لكن "روبين" نحيفة القوام ، لاذعة اللسان ، لا تهتم كثيرا بما ترتديه، ومع ذلك تروق له جسديا وذهنيا كما لم ترق له امراة منذ سنوات. تتحرك برشاقة متفردة لا تضارع ، وبساطتها تعجبه إلى حد الدهشة : لا تخشى من أن تشوه القبلات طلاء شفتيها أو تفسد تصفيف شعرها .

لذلك ينبغي على السعيد الذي تختاره أن يكون على مثل حذر من يسير فوق البيض تحسبا لحدة طباعها . لهذا فإن مغامرة مع "روبين" تكون مثيرة للغيظ وعميقة الحسية في آن واحد . تبين فجاة أن صحبته النسائية المعتادة التي تتصف بالمجاملة على الدوام تثير في أعماقه ضيقا شديدا .

وضعت "روبين" تحت قدمه اليسرى مقعدا من البلاستيك فوقه وسادة ثم سالته :

- ما رايك في هذا الجبل ؟

هب عليهما نسيم عليل من فوق الأشجار العملاقة التي اغدقت على جبل الصنبور اسمها . زينت المروج من تحتها الوان النباتات الزاهية

فبدت كلوحة فنية جميلة . استنشق "باتريك" الهواء النقي ودفع برأسه إلى الخلف ليتمتع بحرارة الشمس ؟

- بديع ... لم أتعود الحياة في الأماكن الفسيحة .

- دائما ما عشت في المدن ؟

- نشأت في ضاحية سكنية . كانت المنازل فيها محاطة بالحدائق الغناء لكن ...

قالت باندفاع بينما مر على وجهه المعبر ما يشبه الظل :

- أعلم ما تريد أن تقوله .

- حقيقة ؟ لا أتصور أنك عشت في إحدى هذه الضواحي .

- عشت فيها مع ذلك . وأعرف جيدا كل شيء عن الخضرة التي تكسو الحدائق ويجري جزها بعناية وانتظام وأحواض الزهور المتنوعة الألوان وصالونات الحدائق وكل هذه الأشياء .

- أرى أن هذا النوع من الحياة لم يعجبك أكثر مما أعجبني .

أجابته بنبرة حماس :

- ارتبطت هذه البيئة بذهني بالجزع .

سألها متخوفا من ألا ترغب في أن تجيبه :

- لماذا ؟

فكرت طويلا قبل أن تشرح له وجهة نظرها :

- لأنها تفرض على الجميع وضع أنفسهم في قوالب متطابقة . ومع ذلك يمكننا أن نلتقي باشخاص أخفوا حقيقة أنفسهم من خلف هذا الأسلوب من أساليب الحياة رغم أنهم لا يمتون إليه بادنى صلة .

تساءل : "ما الذي أصابه حتى ينطوي صوته على هذا القدر من عدم الرضا" ؟

- "روبين" ما الذي ... ؟

قاطعته بقولها :

- لدي العديد من الأشياء التي يتعين علي الانتهاء منها . يمكنك أن تبقى هنا ساعتين متواصلتين ؟

www.elromancia.com

- يمكنني أن أظل أتامل هذا المنظر الريفي الجميل من الصباح حتى المساء.

كان يعلم أن هذا لا يمكنه لأن "روبين" وحدها هي التي تستحوذ على اهتمامه. غير وضعه فوق المقعد محاولا الاكتفاء بمشاهدة المنظر الطبيعي.

نظر إلى ساعته، بعد ربع الساعة بدأ يتململ. يكفي هذا القدر من التأمل هذا اليوم. أحس بضيق في أعماق نفسه. بلغ نهاية حدود الاحتمال وأصبح الآن بحاجة إلى ما يشغل ذهنه بعيدا عما بداخله.

افتقر الكوخ إلى وسائل قضاء وقت الفراغ إلى حد يشعر المرء بثقل الوقت فلا تليفزيون به ولا مسجل ولا مذياع. كيف يمكن أن تستمر الحياة في ظل مثل هذه الظروف؟ بدأ ينادي:

- "روبين".. "روبين"!

- ما الخطب؟

ظهر على الفور عند أحد أركان الكوخ وإذ اقبلت نحوه خلعت قفازيها ووضعتهما في جيب بنطلونها الخلفي. سألها:

- هل لديك شيء يقرأ؟

- آه.. الأمر كذلك؟ تصورت من أسلوب صياحك أن شيئا فظيعا قد حدث.. خاصة أنك قد أخبرتني بأنه يمكنك التمتع بمنظر الريف والطبيعة حتى المساء.

- فاق تقديري لإمكاناتي الحد بقليل.

عادت "روبين" إلى داخل الكوخ تهز رأسها حيث أحضرت صحيفة وضعتها فوق ركبتي "باتريك" قبل أن تمضي.

- انتظري!

- ماذا أيضا؟

- إنها قديمة بمقدار ستة أيام!

- وماذا بعد؟ الصحف اليومية ليست متاحة في هذا المكان.

وارتسمت ابتسامة ساخرة على وجهها أمام تعبيرات الذعر التي

بدت واضحة على ملامح "باتريك".

- أعلم أنك سوف تذهل لو علمت أن هناك أناسا لا يأبهون بالحصول على صحف اليوم ذاته، خاصة أنك صحفي تناضل في سبيل نصرة الحق والعدالة. ألا تعتبر نفسك رجلا كاملا؟

ابتعدت عنه مختفية بأحد أركان المنزل تحت نظرات "باتريك" المفتونة. واضح أن "روبين" لا تحب الصحفيين. لكن لماذا؟

ظلت "روبين" بعيدة عنه أثناء تناول العشاء وإن كانت قد سعت إلى أن تكون صحبتها مسلية. قامت بعد ذلك برفع أدوات المائدة من فوق منضدة المطبخ، حيث فردت مستنداتها وبدأت العمل.

أوى "باتريك" إلى الفراش وبيده كتيب عنوانه "كيفية علاج صغار الدببيات والعناية بها". تعلم منه كل ما لم يرغب في معرفته فيما يتعلق بتربية هذه النوعيات من الحيوانات. بعد ساعة أو ساعتين من القراءة التفت نحو "روبين":

- أيمكنني معاونتك في أي شيء؟

رفعت المرأة الشابة رأسها من فوق الأوراق:

- ماذا؟ لا. شكرا. إنني أراجع طلبا لمعونة مالية.

- طلب معونة مالية؟

وضعت قلمها لتفسر له:

- تختص مؤسسة "وبستر ريتشموند" في كل عام عددا محدودا من المشروعات الهادفة إلى الحفاظ على الطبيعة بالمعونات المالية. وقد أبدت هذه المؤسسة اهتماما بمشروعي إلا أنه ينبغي أن أوافيهم بمزيد من التفاصيل. وسيتم تقدير هذه المساعدات وصرفها في القريب العاجل.

- لم يتجه تفكيري إلى ذلك من قبل، لكنني افترضت أنك لا تتلقين مقابلا عن عملك.

- لا أتقاضى شيئا لنفسي على الإطلاق. ونشاطي معتمد على الهبات الخاصة دون غيرها.

www.elromancia.com

- لكن ماذا عن تكلفة تغذية الحيوانات ... وصرف العلاج الذي يوصي به الطبيب البيطري ...

- في حالة عدم توفر الهبات ادفع كل ما يلزم من جيبي الخاص.

نطقت عينا "باتريك" بمعاني الاحترام العميق. فهي تبذل جهدا كبيرا يكاد أن يكون تطوعيا .

- تفعلين ذلك لأنك تحبين عملك يا "روبين" ...

ابتسمت قائلة :

- لدي اهتمام بأن أحبه وإن لم يكن مسليا دائما ! ومن خلال ترتيبات متواضعة أمل تدارك بعض الأضرار التي نلحقها بالأرض عن علم أو عن غير علم .

- حقيقة: إننا نتعامل مع كوكبنا هذا كما لو كان يمكننا شراء كوكب بديل من أقرب متاجر الناحية .. الا ترين ذلك ؟ كانت امرأة كتبت عنها مقالا في العام الماضي هي التي قالت لي ذلك بالنص . كانت في "الاسكا" لعلاج العصافير التي سقطت في مستنقع المازوت .

- "إيلا هاتشر" .

- نعم . تعرفينها ؟

- معرفتي بها ليست على الصعيد الشخصي، لكنني استمعت إلى حديثها في أحد المؤتمرات. إنها شخصية ممتازة .

- وأنت أيضا يا "روبين" .

أشاحت بوجهها حتى لا يرى تعبيراته بينما استطرد :

- تعلمين .. قالت "إيلا هاتشر" إن مقالي قد جلب إليها بضعة آلاف من الدولارات من التبرعات والهبات . إذا أردت يمكنني كتابة مقال عنك ...

لكنها قاطعته بحماس :

- لا ... أعني أنني أشكرك شكرا جزيلا، لكن الشهرة لا تستهويني و... بالمساعدة المالية سيتوفر لدي كل ما أريده .

اعترفت داخليا بأن عرض "باتريك" سخي لكن ذلك الشقي يجهل كل شيء عن وضعها الحقيقي .

- إذا غيرت رأيك يا "روبين" فلا تترددي في أن تخبريني بذلك . لأنه كيف يتسنى للمحافظين على الطبيعة ممارسة مهامهم بدون مال ؟

- العدد الأكبر منهم سيدات متزوجات ممن يفضلن أن يكن ربات بيوت حتى يمكنهن تنشئة أولادهن. والأطباء البيطريون يعرضون خدماتهم تطوعا بلا مقابل كما يفعل "جويي" معي .

- ومن أين تنفقين وليس لك زوج ؟

- لي ميراث متواضع عن والدي يكفي لتغطية احتياجاتي الأساسية . وأهالي هذه المنطقة يعاونونني تطوعا في مهمتي ... والمعونة المالية التي أتطلع إليها سوف تهيىء لي أفضل الظروف .

- فيم سوف تفيدك ؟

تألقت الحدقتان الذهبيتان بشدة .

- أحلم . بإنشاء مركز للحيوانات المفترسة ليس لتمريضها فحسب بل لتعليم العامة وتنبيه الناس إلى مشكلات الفصائل التي في طريقها إلى الانقراض . لهذا السبب أرحب بالتعاون مع مؤسسات قومية .

تأملها "باتريك" طويلا . كانت تراوده رغبة في أن يعدها بالحصول على تلك المساعدة المالية التي من شأنها أن تحقق لها أمانيها . انتهى الأمر بأن استأنفت "روبين" عملها وعلى وجهها شبح ابتسامة .

قالت وهي ترتب أوراقها :

- وأنت .. ما حلمك في مجال مهنتك ؟

قال مفكرا :

- أنا ؟ ليس لدي مثل هذا الحلم .

ثم قال بعد فترة صمت :

- أحب أن تزود مقالاتي بالصور التوضيحية في يوم ما .

- أنت مصور أيضا ؟

- عملي في هذا المجال لا يعتبر رديئا .

- ما موضوعاتك المفضلة ؟

- الأطفال والحيوانات . كلاهما طبيعي بلا تكلف .

www.elromancia.com

كان لإجابته وقع عميق على "روبين" التي لم يمكنها مقاومة الاستمرار في الحديث :

- هذا يثير حيرتي فيك !

رأت شعاع ضوء يتقد في عينيه فغادرت المنضدة قائلة :

- كان اليوم طويلا ... تصبح على خير يا "باتريك".

- تصبحين على خير يا "روبين" .

تبعتها نظراته، طرب للرقة التي لفظت اسمه بها. فبدون أدنى قصد جعلت له جرسا أشبه بترنيمة. وعاد متنهدا يقرأ عن تغذية صغار الأرانب .

- أووووه !

استيقظت "روبين" من نوم عميق . ما الذي حدث ؟ جلست فوق فراشها تصغي . ترامى إلى سمعها صوت ضوضاء مكبوحة صادرة عن الطابق الأرضي تلته الفاظ سباب خافتة .

لبست خفها الأحمر الجميل وهبطت السلم الخشبي ذا الطراز الريفي إلى الطابق الأول وسألت :

- ما هذه الجلبة ؟

كان "باتريك" جالسا في الفراش تضيء صدره العاري أشعة القمر المترامية من النافذة . أجابها :

- أحسست بحيوان يجثم فوق صدري .

أوقدت "روبين" المصباح القريب من الفراش وطافت بنظرتها في المكان قبل أن ترى ضيفتها . كانت "روبين" ترتدي قميصا طويلا من قماش الفانلة الأحمر تناقض مع لون شعرها النحاسي على نحو مثير . وتنهد "باتريك" .

أشارت "روبين" بإصبعها إلى القطة الكبيرة التي تشبه النمرة والتي وقفت مرفوعة الذيل عند مقدمة الفراش وقد بدا عليها قدر من التعاسة إزاء هذا التغيير في نظام البيت .

- لابد أنها "روزي" .

نشق "باتريك" بكبرياء قبل أن يتمدد فوق الفراش متقلبا فوق جنبه . ارتجف لرؤية قطة صغيرة بيضاء نائمة فوق الوسادة المجاورة لوسادته تدقق النظر إليه بعينين عنبريتين . صاح :

- يا إلهي !

وبدأت القطة برتقالية اللون تلعق أكفها وهي تصدر مواءها المعتاد .

- والصغيرة التي بجوارك اسمها "پوه" .

لفت انتباه "باتريك" ضوضاء خافتة آتية من فوق أرضية المكان. انحنى يستطلع الأمر فرأى فارا أبيض فوق حذائه . تمدد ثانية رافعا عينيه المذهولتين نحو السقف .

- "روبين" مالي أرى بعض النجوم عالقة بالعروق الخشبية ؟

فاجابته وهي ترمق ورق الزينة الذي كست به السقف :

- أحب أن أشعر بانني نائمة في الفضاء .

- هذا فراشك إذن .

- إنه فراشي بالتاكيد .

حملت "روزي" في ذراعيها واستطردت :

- كنت بالأمس بحالة لا تسمح بأن تصعد إلى الطابق الأعلى لتنام هناك .

فقال متمتما :

- يسعدني أن أنام في فراشك . إنه فراش يصلح للحب. أليس كذلك ؟

التفت "روبين" حول نفسها وانصرفت حاملة "روزي" معها وهي تقول:

- الوقت متأخر. تصبح على خير .

صعدت الدرج الخشبي الضيق ثم أطفأت المصباح النحاسي العتيق ورقدت فوق فراشها واضعة أنفها في الوسادة .

اشتم رائحة عطر رقيق ذلك الذي كان قد استنشقه في ذلك الصباح عندما سقطت "روبين" معه فوق الفراش . اتجه تفكيره إلى شعرها فتصور نفسه يمرر أصابعه في تموجاته النحاسية ويحملها إلى وجهه

www.elromancia.com

حتى ...

تنهد من أعماقه موجها بصره إلى الساعة العملاقة التي طليت أرقامها باللون البرتقالي وقال محدثا نفسه :

- الثانية صباحا فقط .

نهض جالسا حيث أشعل المصباح واتجه نظره إلى الكتاب الموضوع فوق المنضدة المجاورة للفراش. لا مفر من العودة إلى صغار الذبيبات ! دفعه الفضول إلى فتح الدرج عسى أن يجد به كتابا من نوع آخر . لم يكن هناك أي كتاب بل تشكيلة من أقلام الرصاص وأقلام الحبر ومستحضرات التجميل والخطابات . أقفل الدرج مسرعا وقد وقع بصره على قصاصة من صحيفة قديمة . أخرجها وبدأ يقرؤها على نحو آلي . ظهرت بها صورة ما .

كانت تلك صورة "روبين" . قرأ ما تحتها "ليليا إكسبري" تغادر الكنيسة عقب الصلاة الجنائزية على جثمان زوجها "چون دوجلاس إكسبري" الذي توفي يوم الاثنين الماضي .

فحص "پاتريك" الصورة بعين الصحفي المدرب المتنبه إلى أدق التفاصيل . كان على استعداد لأن يراهن على أن ثمن التايير الأسود الذي ارتدته هذه المرأة الشابة يضاهي مرتب أسبوع مما يتقاضاه وأن السيارة الـ "B. M .W" الرمادية المفضضة التي وقفت بطول الرصيف لم تكن رخيصة الثمن أيضا .

قطب وهو يعيد القصاصة إلى موضعها بالدرج قبل أن يطفئ المصباح النحاسي. "ليليا إكسبري" . "روبين ماك كينا" الفاتنة هي- إذن في حقيقة الأمر - أرملة "إكسبري" الجميلة .

لماذا هذا اللغز ؟

قال متمتما وهو ينظر إلى النجوم التي تزين السقف :

- "چون دوجلاس إكسبري" ... "چون دوجلاس إكسبري" ...

هذا الاسم يعني له شيئا . لكن ما ذلك الشيء ؟ وحتى الخامسة صباحا عندما انتهى به المطاف إلى الاستغراق في النوم لم يهتد إلى الإجابة .

الفصل الثالث

غادرت "روبين" فراشها في الوقت المعتاد من الصباح على الرغم من الإزعاج الذي حدث أثناء الليل . كان يومها يبدأ مع شروق الشمس وينتهي عند الغروب، لهذا حرصت على أن تستيقظ مبكرة بحيث يكون أمامها النهار بطوله وضيائه .

ارتدت ثيابها ونزلت إلى الرواق . هالها أن رأت "روزي" و"پوه" نائمتين فوق الفراش بصحبة "پاتريك" . طالت نظرتها إلى شعره الأسود المشعث ورق قلبها . دائما ما أصابت قطتاها التقدير فيما يتعلق بالأشخاص .

بدون أي قدر من الضوضاء خرجت لإطعام حيواناتها ثم عادت إلى الكوخ ثانية ترمق "پاتريك" بنظراتها . قالت متمتمة :

- لم يستيقظ بعد .

وبدون أدنى مراعاة في هذه المرة بدأت تغسل أواني المطبخ، ولم تقلق حركتها نومه . أعدت قهوة مركزة بقدر استثنائي أملا في أن يوقظه

www.elromancia.com

عبيرها النفاذ لكنه لم يفلح . بعد أن أعدت صينية فطوره حملتها إلى المنضدة المجاورة لفراشه وهي تحدث نفسها وترمقه بنظرات الازدراء :

"أيقظني هذا الحيوان أثناء الليل . لن أتركه ينام حتى الضحى" .

هزت الفراش ثم ربتت كتف "باتريك" بخفة . لكنه تقلب لينام على ظهره متيحا لنفسه وضعا أكثر راحة .

- "باتريك" ! استيقظ !

تمتم بكلمات غير مفهومة وجذب الغطاء فوقه .

- "باتريك" !

فتح إحدى عينيه متسائلا :

- كم الوقت ؟

- بعد الثامنة .

عاد إلى وضعه الأول قائلا :

- أيقظيني بعد ساعتين .

- لا . أسفة ...

أمسكت "روبين" بالغطاء حيث أزاحته عنه حتى خصره وقرر "باتريك" أن يفتح عينه الأخرى أيضا .

- عادة ما أنام حتى الساعة الحادية عشرة .

- لست هنا في فندق . وإني أدعوك إلى تناول فطورك وهو لايزال ساخنا . لن أقدمه لك مرة أخرى .

وإذ قالت ذلك عادت إلى خارج الكوخ .

نهض "باتريك" مرتكزا فوق أحد مرفقيه لكي يتبعها بنظرته . مزاج السيدة "ماك كينا إكسبري" منحرف اليوم . تثاءب وهو يحمل صينية فطوره في اللحظة التي لاذ الفار الأبيض فيها بالفرار حاملا معه شريحة خبز مقددة .

قال مقررا أن يتكيف مع الموقف :

- أوه ...

ولم يقطب عندما حاولت "بوه" أن تسرق منه قطعة من اللحم بل

اكتفى بإبعاد الصينية عن متناول يدها بحيث ملت القطة الانتظار وقفزت مبتعدة عن الفراش .

انطلقت عن "روبين" - التي وقفت تراقبه من عتبة الباب- ضحكة مكتومة رفع على أثرها بصره إلى المرأة الشابة . سألته :

- هل لديك أية حيوانات أليفة ؟

هز رأسه قائلا :

- إنني كثير التغيب عن البيت .

سألته وهي ترفع الصينية بعد ما انتهى من تناول وجبته :

- هل كان لك واحد منها وأنت صغير ؟

- نعم .

- كلب مراهنات كبير ؟

- لا . كلب صيد من نوع الـ"يوركشاير" .

قالت وهي تبتعد عنه :

- إنك تمزح . "روزي" يمكنها أن تلتهم مثل هذا الحيوان الصغير دفعة واحدة .

وأشرق وجه "باتريك" :

- هذا صحيح . كنت أستغل ظروف وزنه الخفيف فكنت أحمله معي إلى المدرسة بداخل حقيبة الكتب التي أحملها فوق ظهري . كما كنت أضعه بداخل قميصي عندما أذهب إلى الكنيسة أيام الآحاد . وكانت صحبته تمتعني !

ابتسمت "روبين" . كانت على استعداد أن تضحي بالكثير في مقابل أن ترى "باتريك" العابث مع كلبه الـ"يوركشاير" متناهي الصغر . بدا في تلك اللحظة على جانب كبير من الجاذبية مما أصابها بالاضطراب . أرادت أن تكون ودودا ظريفة بشرط أن تظل على الحياد التام وإلا فتنها إلى حد يحدو بها إلى الجلوس فوق المقعد المتارجح المجاور لفراشه وتناول أطراف الحديث طويلا قبل أن تفكر في مواصلة إنجاز أعمالها .

غادرت الكوخ ثانية للعناية بالحيوانات المقيمة لديها وراسها زاخر

www.elromancia.com

بالأسئلة : ماذا بهذا الرجل يصيبني بهذا القدر من الاضطراب ؟

كان مغويا إلى حد بعيد، لكن "روبين" لم تسمح لنفسها بالاخذ بالمظاهر لأن العام الذي عاشته في حياة زواجية قد لقنها درسا لا ينسى وإن كانت راضية رغما عنها عن شدة افتتانها بـ"باتريك" .

ظلت على مدى اليوم كله تتلمس عذرا أو آخر لتلافي ملاقاة الصحفي الجميل الذي سمرته في مقعده المريح أمام كومة من المجلات وبحيث لم تعد إلى الكوخ إلى وقت وجبة غداء سريعة الإعداد .

قام "چويي" بزيارة قصيرة لهما في ساعة متاخرة من بعد ظهيرة أحد الأيام كي يحضر عكازين كانا قد تبقيا لديه من أيام عطلته الأخيرة التي كان قد قضاها في تسلق الجبل ، تحدث مع "باتريك" طويلا قبل أن يذهب بحثا عن "روبين" في حظيرة الإيواء . سالها :

- كيف حالك ؟

- بخير . هل لديك أخبار عن "مارچ" و"بيتسي" ؟

- اتصلت بهما هاتفيا مساء أمس . سوف يقضيان عطلة نهاية الأسبوع لدى والدة "مارچ" . ما أخبار صغار الحيوانات ؟

سارت "روبين" بمحاذاة الأقفاص الحديدية حتى وصلت إلى اكبرها بالركن الداخلي من الحظيرة :

- أضع لها الغذاء هنا بعد ظهر كل يوم وفي صباح اليوم التالي لا أجد منه شيئا . لهذا أعتقد أن الأمور تسير على خير ما يرام . لا تخرج من حفرتها مادمت قريبة منها . أعتقد أن الوقت قد حان لتركها تعيش في الغابة بنهاية الأسبوع القادم .

- أين الثعلب الذي احتلت عليه مؤخرا ؟

- هناك .

وأشارت "روبين" إلى حيوان أصحر الفرو يرقد متكورا . بدأت تفرغ علبة طعام كلاب في صحفة فاستيقظ على صوت حركتها:

تحدث "چويي" بنبرة خافتة :

- اخبريني .. هل تسير الأمور على ما يرام بينك وبين "باتريك" ؟

بل تسير على خير ما يرام ! أحست "روبين" بان وجنتيها تتوردان وهي تجيبه :

- لا مشاكل يا "چويي" ... ما الذي يجعلك تبتسم ؟

- أنا . لا شيء . كنت أظن أن هناك ما تريدين أن تقوليه لي .

نظر إلى ساعة يده :

- ينبغي أن أمضي . اتصلي بي في حالة الحاجة إلي .

وانصرف متوجها إلى سيارته لكنها نادته :

- انتظر ! سأنتهي من مراجعة طلب المعونة المالية غدا . هل كنت جادا عندما أخبرتني بانك سوف ترسله لي بالبريد العاجل من مكتب "فرونت رويال" ؟

قال مبتسما :

- بالتاكيد .

ثم اشار إليها بيده قائلا :

- إلى الغد إذن .

قطبت "روبين" حاجبيها عندما رأت سيارته تبتعد مسرعة على الطريق . لماذا بدا على "چويي" هذا القدر من الرضا؟

مر وقت العشاء بهدوء خيم عليه صمت أقرب إلى التوتر منه إلى الصفاء .

تظاهرت "روبين" بقراءة أحد الكتب بينما انكب "باتريك" على قراءة بعض المقالات الصحفية التي أحضرها "چويي" إليه بهدف مراجعتها .

سالها "باتريك" وهو يتناول قطعة جبن :

- هل هذا الكتاب مسل ؟

رفعت "روبين" بصرها نحوه قائلة بنبرة جافة :

- مشوق .

انحنى "باتريك" من فوق المائدة وامسك بالكتاب بهدف معرفة عنوانه قائلا :

- "الثدييات أكلة العشب" . نعم إنه من النوع المشوق جدا !

www.elromancia.com

سالته بادب شديد :

- وانت ماذا كان المقال المشوق الذي شغلك طوال اليوم ؟

- كان بحثا موجها إلى مجلة "واشنطن اليوم" .

- تعتزم من خلاله تحطيم حياة الكثيرين ؟

- يبدو لي أن مزاجك هجومي قليلا اليوم .

كانت "روبين" من حسن الذوق بحيث بدا الخجل عليها . قالت هامسة :

- معذرة . لم اقل ذلك من قبيل شن هجوم شخصي عليك .

- لكنك لا تحبين الصحفيين. اعترفي بذلك .

- هذا صحيح . عرفت بعضا منهم لا يتورعون عن سحق اي إنسان في سبيل الشهرة .

- لا انكر وجود صحفيين من هذه النوعية، لكن هناك ايضا أطباء ممن يسلكون هذا المسلك ومحامون وتجار وسائقو سيارات...

- أعلم يا "باتريك" الأمر مجرد أن ...

أعلم يا "باتريك" . الأمر مجرد أن...

- وانا لست مثلهم . لم اكتب مقالا قط لم أتوخ فيه بالغ الدقة في تناول ما يتصل به من الوقائع والاحداث . دائما ما تتصف مقالاتي بتقرير الوقائع وسرد الحقائق .

- الحقائق كما تراها انت !

- بالتاكيد . كما أراها ... "روبين" إنني ابذل قصارى جهدي، ومن ناحية اخرى لست صحفيا فحسب تماما كما انك لست مجرد امراة مهتمة بالحفاظ على الطبيعة والإبقاء عليها . فانا إلى جانب ذلك ابن واخ ...

- أعلم أن لك شقيقا توءما . حدثني "چويي" عنه . أما انا فابنة وحيدة ودائما ما أحسست بالأسف على ذلك ... اعتبر "چويي" و"مارچ" الشقيق والشقيقة اللذين افتقر إليهما . واحب "بيتسي" كما لو كانت ابنة شقيقة لي بحق. فهي تناديني الخالة "روبين" ...

توترت تحت نظراته الثاقبة . وضعت كتابها جانبا وامسكت بملف مشروع المنشاة التي تامل تاسيسها .

تاهب للكتابة في اللحظة التي اتجه نظرها فيها إلى "باتريك" . قالت:

- ارجو الا ترى في هذا امرا غير مناسب . ينبغي أن انتهي من هذا الموضوع على الفور لأنه سيرسل بالبريد غدا .

لجا "باتريك" إلى فراشه متظاهرا بالاستغراق في مراجعة مقاله لكنه ظل يرمق المرأة الشابة بنظراته باستمرار. وكانت هي مستغرقة تماما في موضوعها . وإن كانت قد لزمت الصمت فلم تكن هادئة بحق. فتارة تكتب بسرعة وتارة أخرى تتوقف عن الكتابة تماما وتظل تضرب على الأوراق بقلمها . كما لم تتوقف قط عن تحريك ساقيها الطويلتين من أسفل المنضدة .

تساءل: عما إذا كانت طاقتها التي لا تعرف الخمول تستمر في الليل أيضا؟ هل تتقلب "روبين" تحت أغطية فراشها بكثرة أيضا ؟ أم أنها تملي على نفسها السكون التام حتى تنام بهدوء وتعيد شحن بطارياتها لليوم الجديد ؟

لم تزل محاطة بالعديد من الألغاز ونقاط الغموض التي يريد أن ينفذ إليها ... فضلا عن ذلك العديد من الاستفسارات التي يريد إجابات عنها... لأن "باتريك" متعطش إلى معرفة الحقيقة .

ظلت "روبين" تراود ذهنه على مدى بضع ساعات لاحقة رغم المحاولة التي بذلها في سبيل أن يقرا شيئا. وانتهى الأمر به إلى ترك عملية مراجعة المقالات لأن "ليليا إكسبري" المتخفية في شخص "روبين ماك كينا" اصبحت اكثر تشويقا من اي شيء آخر. رفع "باتريك" بصره نحو قمة الدرج بدت اللحظة مناسبة تماما للعمل . كان الطابق الأول غارقا في الظلام منذ فترة من الوقت . تسلل حتى موضع الهاتف وكان قريبا من الباب وطلب رقم "بيل مارش" الصحفي الذي يتعاون معه أحيانا .

- آه "باتريك" ؟ ليس هناك من يطلبني في هذه الساعة الجميلة مما بعد منتصف الليل سواك . ما الذي الم بك ؟

www.elromancia.com

مرر "باتريك" يده في شعره وقد احتواه إحساس مفاجئ بالذنب، يتعلق برغبته في أن يعرف: ما إذا كانت "ليليا" هي "روبين" أو كانت "روبين" هي "ليليا" ؟ لم يكن هذا الأمر من شانه ومع ذلك لم يكن هدفه هو المساس بالمرأة الشابة باي وجه. لكنه أراد فقط أن يعرف الحقيقة . ولن تعرف هي بمحاولته هذه قط .

- أسأل عن ماضي شخص ما .

- من هو ؟

- "روبين" ماك كينا" . أعتقد انها كانت في الماضي معروفة باسم "ليليا إكسبري" . تعمل الآن إخصائية محافظة على الطبيعة في "نيدلز" بولاية فرجينيا .

- أنت بصدد كتابة مقال ؟

- لا . إنها صديقة .

- سأرى ما يمكن أن أفعله . كيف أتصل بك ؟ أنت في بيتك ؟

- لا . ولن أعود قبل بضعة أيام . أفضل أن أقوم أنا بالاتصال بك هاتفيا . أيمكنك أن تخبر "كلاي" بانه لن يتلقى مقالي قبل الاسبوع القادم ؟ شكرا يا "بيل" وأعتذر عن إيقاظك في هذه الساعة .

- تعودت منك ذلك ! وإلى مزيد منه يا صديقي العزيز !

أنهى "باتريك" المكالمة وقد أصبح فريسة إحساس بعدم الارتياح. لقد أسدت "روبين" إليه خدمة عظيمة بأن قبلت إقامته لديها. وعلى الرغم من لسانها اللاذع تمتعت بيدين جميلتين وبابتسامة دافئة تبعث الفرحة في قلوب الآخرين. ربما كان من الأفضل أن يلغي طلب هذه المعلومات من "بيل" .

طلب رقمه من جديد في اللحظة التي سمع فيها وقع أقدام على الدرج فاعاد السماعة إلى موضعها مسرعا ليتوجه نحو حوض المطبخ .

أضاءت "روبين" المصباح القريب من قاعدة الدرج وسألته مقطبة حاجبيها :

- ماذا حدث ؟ يخيل إلي أنني سمعتك تتحدث مع شخص آخر.

- أنا ؟ إنني بحاجة إلى كوب ماء لكنني لا أعرف كيفية تشغيل المضخة.

كبحت تثاؤبا :

- إنك ابن المدن الكبيرة بحق !

رمقها بابتسامة مغوية قائلا :

- نعم يا "روبين" لكنني أتعلم بسرعة . هل ترغبين بحق في أن تعلميني شيئا ما ؟

- نعم . الأدب . فهذه هي الليلة الثانية التي توقظني فيها على التوالي. هل تنام حتى مثل هذه الساعة المتأخرة من النهار كي تقضي لياليك في البحث عن وسائل تقلق بها منامي ؟

طافت نظرات "باتريك" بها من الرأس حتى القدمين مذكرة إياه بانها عارية تماما من خلف هذا القميص .

- سيدتي: يحضرني الكثير من الوسائل التي من شانها أن تشغلك عن النوم ليلا .

رأى النسيج الرقيق الذي يكسو صدرها. أما هي فبذلت جهدا كبيرا حتى تحتفظ بهدوء أعصابها تحت نظراته الثاقبة . أجابته :

- وانا أيضا . وإن كان العدد الأكبر منها يحتوي على الزيت المغلي ووسائل التعذيب المستوحاة من الصين .

- اي الوسائل تفضلين ؟

"أنت" إنها كبحت تلك الكلمة بصعوبة وإن نطقت شفتاها بما يدانيها خطورة :

- وانت .. أي الوسائل تفضل ؟

- تريدين أن تعرفي ؟ هي أن أتساءل: وأنا راقد فوق الفراش عما إذا كنت قد مارست الحب مع شخص ما تحت سقف نجومك الظريفة هذه ؟

دققت "روبين" النظر إليه وقد شلت حركتها تماما . رأت أنه ينبغي عليها أن تدير إليه ظهرها متوجهة إلى الدرج ومنه إلى فراشها الصغير الهادئ، لكنها تسمرت في مكانها بفعل صوته الحاني ، أكمل :

- وأتساءل أيضا: عما إذا كان لسانك اللاذع هذا قادرا على الإبداع في مجال ألفاظ مطارحة الغرام قدر كفاءته في التهكم والسخرية ...

www.elromancia.com

وتعلمين ما الذي يستهويني في المقام الأول ؟ هو أن أعرف أنك تفضلينني أيضا .

قالت لاهثة :

- لا .

- لا تكذبي عليّ ولا تكذبي على نفسك . عيناك تفضحانك وعندما لا تفعلان ذلك ...

وإزاء ما نطق به وجهها من علامات الافتتان مد نحوها يدا ربت بها صدرها . فتحت "روبين" شفتيها كي تعترض لكنها لم تتمكن من أن تصدر اكثر من أنين خافت . هل تشعر ضحية ثعبان الكوبرا بمثل هذا العجز التام ؟

خفضت بصرها لحظة أن التقت شفاههما . لأنها كانت ترغب فيما هو اكثر من هذا بكثير . توقعت أن يواصل ولم يفعل . رفعت بصرها إليه لترى عينين تقطران حنانا .

قال وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة رضا :

- سبق أن قلت لك ...

احتوتها مشاعر الدفء فتراجعت نحو الخلف بمقدار بضع خطوات حيث رمقته بنظرة ثاقبة وهي تقول :

- لست الأعرج الوحيد الذي سهرت على علاجه هنا . ساعود إلى فراشي .

استند "باتريك" إلى حوض المطبخ غاضبا وإن كان واثقا تماما بانها تريده. سلم بانها شديدة العناد . يتعين عليه حملها على الرغبة في أن تتعرف عليه . شغلت هذه الفكرة ذهنه إلى حد بعيد. أطفأ المصباح استعدادا للنوم .

عندما هم بجذب الوسادة المجاورة التقت نظرته بعيني الغار الأبيض اللتين كانتا تبرقان في الظلام . تنهد قائلا :

- حسنا أيها الأعرج . أنت وأنا سيان في نظر "روبين" .

ثم هز رأسه بشدة قائلا :

- لا !

بذلت "روبين" في صباح اليوم التالي جهودا مضنية في سبيل اجتناب نظرات "باتريك" ، لكنه لم يسهل لها هذه المهمة باي قدر كان . عندما جلس إلى المائدة أمطرها بفيض من الأسئلة غير ذات القيمة اثناء انشغالها بإعداد الفطور . تساءل حتى متى يمكنها التشبث بإجاباتها المقتضبة . قال :

- ألا ترتدين قط شيئا سوى البنطلونات الجينز والقمصان الفضفاضة ؟

- نعم .

قالت تحدث نفسها في صمت : "متى يتم نضج هذا اللحم لأن "باتريك" لن يمكنه الكلام وبفمه طعام" .

- لماذا ذلك ؟

- ولماذا لا ؟

- أرى في ذلك خجلا من إظهار قوام فاتن كقوامك والمبالغة في إخفائه تحت كل هذا الكم من الملابس .

شددت قبضتها على عنق الدورق الزجاجي بينما تساءلت: عما إذا كان هذا يمكنه أن يدفعه إلى التعقل والكف عن الكلام أم انه قد يزيد الموقف تعقيدا ؟

- يروق لي هذا الأسلوب في ارتداء الملابس .

- إنه مثير في عمقه . لأن الرجل منا لا يسعه سوى أن يتساءل عن الكنوز المختفية تحت هذا القميص الكبير جدا . لكن من الطبيعي أن ينبئ بنطلونك الجينز الضيق بساقين غاية في ...

ارتجف عندما وضعت "روبين" الدورق أمامه بحركة عنيفة قائلة :

- تفضل بملء كوبك !

وإذ رأى أن الابتسام في غير صالحه في تلك اللحظة، فقد ركز اهتمامه على ملء كوبه بعصير البرتقال وإن كان يفضل التركيز على "روبين" التي فرض الغضب على عينيها شعاعا ذهبيا زادهما فتنة

www.elromancia.com

وسحرا بينما طغى شعرها النحاسي فوق كتفيها واتقدت وجنتاها . ماذا سيكون لون عينيها اثناء الحب ؟ وهل تكون وجنتاها على هذا القدر من الاحمرار ؟

غير وضعه فوق المقعد تحسبا لان تقرأ افكاره الخبيثة . اصبحت على علم بافتتانه بها وإن كان من الأفضل ألا يكشف لها عن مدى هذا الإعجاب .

- تفضل !

وضعت وهي واجمة طبق بيض باللحم أمامه .

- شكرا يا "روبين" .

وضعت أمامها طبقا مماثلا وبدأت تأكل باهتمام شديد كما لو كان تناول هذا الفطور أهم مهمة تضطلع بها في الوجود .

قال متسائلا بصوت خافت :

- أخبريني .. هل اشتغالي بالصحافة هو سبب عدم رضائك عني ؟

- لا أرى أن الصحفيين ملتزمون بالأمانة. لكن لا شأن لذلك بك.

قال بإصرار :

- إذا لم يكن هو السبب فما هو إذن ؟

أجابته :

- ما الذي تريده مني على وجه التحديد ؟

- أريد أن أعرف لماذا أنت متحفزة إلى هذا الحد ؟ هل السبب في ذلك راجع إلى مهنتي أم إلي ؟

نهضت حاملة معها طبقها إلى حوض المطبخ ولم تزل به نصف وجبتها .

- لم أقل قط : إنني أكره مهنتك .

- لم تكن هناك حاجة إلى أن تفصحي عن ذلك يا "روبين" .. عيناك تنطقان به .

تنهدت :

- ألا يمكننا تغيير موضوع الحديث ؟

- نعم . لأنني لا أريد لهذا اليوم أن يمضي بنا كسابقه. الذي ساده جو من الفتور. لماذا ترفضين أن تثقي بي بحيث تكشفين لي عما تعتبين به على الصحفيين ؟

عادت "روبين" إلى المائدة وامسكت بكلتا يديها الملف ورفعته من فوق المقعد الذي كانت قد غادرته .

- حسنا . سوف أخبرك به. الصحفيون وحوش لا يفكرون إطلاقا في الأناس الذين من الممكن أن تحطمهم الضجة المترتبة على ما يكشفون عنه من خفايا . هذا هو سبب عدم ثقتي بهم . أما أنت فلا أعرفك بالقدر الذي يمكنني من إبداء الرأي فيك .

- رأيك في أعلمه جيدا !

- لا أرمي بهذا الحديث إلى أي شيء يا "باتريك" ولن يكون له أي أثر يذكر . عملي في انتظاري وقد تأخرت عليه .

"من المؤسف أنها لا تلبس حذاء مرتفع الكعبين !"

قال ذلك وهو يراقبها تتقدم متعالية نحو الباب. كان يمكنها أداء مشهد مسرحي جميل الوقع على النفس في خروجها فوق الأرضية الخشبية بكعبيها .

www.elromancia.com

الفصل الرابع

نهض "باتريك" مصمما على ملاحقة "روبين" ... لكي يسقط جالسا بمجرد أن وطئت قدمه اليسرى أرضية الرواق . كان الفار الأبيض قابعا قبالة مقعده في انتظار الفتات .

قال محدثا إياه وعيناه ترصدان حركة الحيوان الصغير :

- لا ، هذا لن يفيد بشيء . لا أكاد أعرف هذه المرأة ولا ينبغي أن أهتم بما إذا كانت تثق بي أو لا تثق .

ثم ألقى بقطعة من الخبز المقدد على الأرض .

تشير الأدلة إلى أنه ليس من تلك النوعية من الرجال التي توحي بالثقة . ألم يعلم ذلك من زوجته وبطريق بالغ الصعوبة ؟

سمح "باتريك" للذكريات بأن تعاوده: "شيلي" زوجته . كان قد التقى بها في الجامعة وهو في عامه الدراسي النهائي ، وتزوجا بعد ذلك ببضعة أشهر .

أحب تلك الشقراء الصغيرة الرقيقة ذات العينين الزرقاوين بكل جوارحه وبحيث لم يعر مسلكها الشاذ أدنى اهتمام . ومن ناحية أخرى

استغرقت أولى الوظائف- التي شغلها كصحفي بمجلة "مريلاند" الرياضية الأسبوعية- الجزء الأكبر من وقته . فكان كثير التغيب عن بيته . وإلا ربما كان قد أمكنه أن يكتشف في وقت مبكر أن "شيلي" قد أدمنت تعاطي العقاقير المخدرة . دائما ما راوغته مشاعر الذنب لهذا السبب خاصة وأن حمويه لم يكونا على علم بذلك الذي اعتادته ابنتهما .

لو كانت "شيلي" قد أولته ثقتها لأمكنه مساعدتها ، لكن هذا السر الخطير الذي أصرت على الاحتفاظ به لنفسها أفسد حياتهما الزوجية وهو يؤدي بالزوجة الشابة إلى الوفاة .

نهض "باتريك" محاولا أن يخلص ذهنه من صورتها على الأقل لأنه قد مضى على هذه الواقعة ثمانية أعوام . ومنذ ذلك الحين اتخذ له شعارا مؤداه "سافر كثيرا وسافر خفيفا" ، وإذا لم يكن هناك بد من أن يرتبط من جديد فينبغي أن يرتبط بامرأة تسلمه جسدها وروحها معا . لن يقيم هنا أكثر من يوم أو يومين في هذه البقعة المجهولة وبعد ذلك لن يرى "روبين" ثانية .

لماذا إذن لا يمكنه احتمال فكرة عدم ثقتها به ؟

عرج "باتريك" حتى موضع العكازين اللذين كان "چويي" قد أحضرهما رغبة منه في قدر من التريض . استغرق اعتياده استعمالهما بضع دقائق غادر بعدها الكوخ ، لكن برودة الجو أملت عليه ارتداء "بلوڤر" وذهب بعد ذلك طلبا لـ"روبين" بالقرب من حظيرة يحيط بها سياج خشبي . رفع نفسه قدر استطاعته ليتمكن من إلقاء نظرة من فوق السياج . رأى ظبيين مضمدي القوائم يرعيان في ظل إحدى الأشجار الصغيرة حديثة الأوراق ، بينما استمتع ثعلب بدفء الشمس بداخل قفصه سهل الحمل بوسط الحظيرة . ورقدت في مكان بعيد عن القفص "عرسة" عرف أنها تلك التي كانت قد قفزت من فوق منضدة المطبخ في ذلك اليوم الأول ، ورقد عدد من الحيوانات الأخرى- التي لم يمكنه التعرف على أسمائها- تستريح بجوار أحد جدران الحظيرة .

www.elromancia.com

بادرته "روبين" من الخلف :

- ماذا تفعل هنا ؟

قال وهو يستدير نحوها :

- أريد مساعدتك .

- كيف ؟

- أجنبك مشقة أن تشرحي لمتعهد الجنائز: كيف أن رجلا بكامل صحته قد استطاع أن يموت مللا ؟

كبحت ابتسامة قبل أن تفتح الباب المؤدي إلى داخل الحظيرة ثم قالت :

- حسنا . هيا سوف أريك المقيمين عندي .

تامل "باتريك" بعين الفضول صفوف الاقفاص الموضوعة تحت سقف الحظيرة والتي خلا اكثر من نصف عددها .

قالت "روبين" تجيبه على سؤال لم تتح له فرصة طرحه :

- سوف تشغل هذه الاقفاص بالكامل في غضون الشهر المقبل بمولد الصغار، وعندئذ سيكون لدي عدد كبير من الذبيبات وعدد كبير من صغار السناجب اشارت باصبعها إلى حيوان ضخم بداخل قفصه:

- تعرضت هذه الانثى منذ بضعة أيام إلى حادثة اصطدام بسيارة . إصابتها ليست خطيرة وسوف أطلقها قريبا ... انت .. تحركي من هنا !

وسارت انثى الحيوان على ثلاثة قوائم لترى اثناء مرورها بالباب ذي القضبان الحديدية حيوانا اخر من فصيلتها . ونجا الغار الابيض بحياته عدوا . سالها "باتريك" :

- كيف فقدت قائمها ؟

- في مصيدة حديدية وقد انقذ هذا الحيوان المسكين أحد الصبية من اهالي المنطقة إلا ان قائمها اصيب بكسر في موضعين منه واصابهما تلوث خطير اضطر "جويي" معه إلى استئصاله .

لوى "باتريك" فمه تاثرا .

- نتصور انه يمكننا في عصرنا هذا الالتجاء إلى وسائل اقل

ضراوة.

- افقد ثقتي بالإنسانية المزعومة في عصرنا هذا كلما رايت امثلة صارخة للقسوة .

تامل "باتريك" وجهها بنظرة فضول :

- إنك لا تثقين بنزعات الناس الإنسانية كما لا تثقين بنيات الصحفيين الطيبة رغم أن ذلك يفتح الباب امام الكذب والنيات السيئة والخلافات .

اتجهت نظرة "روبين" بعيدا شاردة الذهن وانتقلت على نحو آلي حتى بلغت منضدة عتيقة موضوعة امام الاقفاص . كانت قد قضت القدر الاكبر من حياتها الزواجية تحاول أن تصدق اكاذيب زوجها . وكان ينبغي بعد وفاته أن تكون قادرة على أن ترفع راسها وتنطلق في الدنيا من جديد، لكن فرض عليها مواجهة الشائعات التي اتهمتها بانها شريكة له فيما اقترف .

كلفها حماس الصحفيين وظيفتها وتخلى العدد الاكبر من الأصدقاء عنها .

- "روبين" ؟

- نعم .

- تبدين كانك على مسافة بضع سنوات ضوئية من هنا .

قالت محدثة نفسها : " لا . خمس سنوات ماضية فقط وحوالي مائة كيلو متر" .

- معذرة ...

وأمام نظراته المتسائلة أمسكت بإناء فارغ متمنية على نحو مفاجئ لو انها ترتدي ذلك "البلوفر" الوردي الذي كانت قد اشترته من احد اكبر محلات "فرونت رويال" وبنطلونا جديدا من الچينز. الن يبتعد "باتريك" عنها قط؟ ربما أمكنها التخلص من وجوده ؟

- لدي الكثير من العمل هنا . لو تفضلت عد إلى البيت . لدي كتب بالطابق الأول يمكنني أن أحضرها لك .

- عن الحيوانات ؟

- وعن مجالات اخرى ايضا .

- شكرا . سيكون هذا من دواعي سروري .

حاولت "روبين" أن تخفي عنه مدى ارتياحها لكنه سرعان ما استطرد:

- لكنني سوف أطلع عليها فيما بعد . أما الآن فاود أن اعاونك.

- تعاونني ؟ يرجو الدكتور "مارتن" إراحة كعبك تماما .

- طلب مني أن اريحه غالبية الوقت وقد ارحته طوال الليل، لذا لن تضرني ساعة او ساعتان من استخدامه .

اسند أحد عكازيه إلى جدار الحظيرة متسائلا :

- بماذا أبدا يا "روبين" ؟

قالت محدثة نفسها في صمت : "اتركني وشاني". لكنها اشارت بيدها إلى المنضدة العتيقة وكان عليها جوال حبوب :

- يمكنك أن تضع حفنة حبوب بقفص الفار الابيض واخرى في القفص التالي وثالثة في القفص الاخير . لا تحاول أن تلمس الحيوانات حتى لا تعضك .

قال وهو يحمل الجوال باليد غير الممسكة بالعكاز :

- وبعد ذلك ؟

- انظر إذا كان لايزال امامها ماء . أعددت قدرين مملوءين .

اخرجت "روبين" قطارة ملأتها بسائل ابيض :

- ما هذا ؟

- لبن من نوعية معينة لإطعام صغار السناجب .

- اين هي ؟

- هنا .

فتحت باب أحد الاقفاص القريبة من المنضدة ورفعت غطاء بني اللون فظهرت على الفور أربع كرات صغيرة من الفراء رمادية اللون . اخرجت واحدة منها حملتها قبالة صدرها لتطعمها .

توقف "باتريك" عن توزيع الحبوب ليتمتع بهذا المشهد النادر وبدت

ابتسامة "روبين" مفعمة بالحنان حتى إن "باتريك" تمنى لو أنها اغدقت عليه واحدة مثلها، والحت عليه رغبة في أن يقطف تلك الابتسامة من على شفتيها .

تنهد مستانفا عمله .

سالها بعد ما سقى تلك الصغار :

- "روبين" والقفص ذو الغطاء الفوقي ؟

- الذي هناك ؟ إنه كروان . طائر ليلي أطعمه في المساء . أشكرك على معاونتك.

وعندما اقترب منها تراجعت إلى الخلف قليلا قائلة :

- سوف احضرلك بعض الكتب من الطابق العلوي. هل تحب كتب الخيال العلمي ؟

- نعم .

لماذا يواصل التقدم نحوها ؟ احتبسها قبالة المنضدة بحيث أحست الدفء المنبعث عنه .

- "باتريك" ينبغي أولا أن أنهي العمل هنا ...

صمت صوتها عندما رفع يدا ليربت شعرها .

- اي عمل تقومين به يا "روبين" وانت تولين كل اهتمامك بهذه الحيوانات ! من - إذن- الذي يوليك اهتمامه ؟

- لا أحد . لست بحاجة إلى من يوليني اهتمامه .

أرادت أن تبتعد عنه لكنها عجزت عن نقل قدميها من موضعهما.

تركت يده شعرها لتنتقل إلى ذقنها تداعبه .

- ويا له من عمل جميل يا "روبين" !

امتد إبهام "باتريك" إلى شفتها السفلى بينما قال :

- ابتسمي لي .. أرجوك .. مجرد ابتسامة .

أطاعته بهدوء فمد يدا إلى قفا عنقها وانحنى على الفور يقطف تلك الابتسامة قبل أن تذبل . ردت إليه قبلته فانتشى بحرارتها . تقدم خطوة نحوها ليعمق قبلاتهما مما ترتب عليه عبء على كعبه المصاب فانتابه

www.elromancia.com

الم شديد مفاجئ جعله يتعثر إلى الخلف، لكنه استطاع أن يستند إلى المنضدة ويستعيد توازنه. وهو في قمة الضيق . سالته بصوت ابح :

- هل انت بخير ؟

- نعم ... جعلتني انسى انني لا اتمتع بلياقة اوليمبية .

مد يده يربت وجنتها المتالقة لكنها عادت إلى الخلف قائلة :

- لا . هذا يكفي .. ولن يتكرر ثانية. لن أسمح به .

التفتت نحو الاقفاص متظاهرة بإلقاء نظرة عليها .

- من الأفضل ان تريح كعبك . ساعود على الفور لإعداد طعام الغداء .

فقال متمتما وهو يغادر الحظيرة مستعينا بعكازيه :

- آه .. هذا لن يتكرر ثانية ؟ حسنا . سوف نرى !

مر "چوبي" بالكوخ بعد الغداء وتوجه لفحص بعض الحيوانات حتى يمكنه أن يطمئن "روبين" عليها قبل أن يتحدث مع "پاتريك" :

- كيف حال كعبك الآن ؟

- ليس سيئا جدا . وانت اكل شيء على ما يرام بعيادتك ؟

- نعم . عادت "سوزان جوبل" اخيرا وباسرع مما توقعت. لذا ساكون في عطلة غدا وبعد غد وبذلك يمكنني اصطحابك معي مساء اليوم بعد العشاء إلى بيتي .

لم يكن "پاتريك" راغبا في ذلك على الإطلاق . لم يكن على علم بحقيقة ما يجري بينه وبين "روبين" لكنه لم يحتمل فكرة الابتعاد عن المراة الشابة قبل أن يكتشفه .

- لا يا "چوبي". لقد أجهدت نفسك على مدى ثمانية أيام كاملة . لابد أن تكون بحاجة إلى النوم والراحة .

- هذا صحيح لكنني ...

فقاطعه الصحفي بقوله :

- لا شك انني سعيد هنا .

- حسنا ... في الواقع: إنني مستريح لذلك. لكن هل ترى ان هذا مناسب لـ"روبين" ؟

- إنني واثق بذلك .

- ومع ذلك سوف أستطلع رأيها .

نهض "چوبي" ليمضي لكن "پاتريك" قال :

- افضل الا تفاتحها في هذا الشان .

- لماذا ؟

- افضل الا تعلم شيئا عن عودة زميلتك .

فقال الطبيب البيطري وهو يفتح الباب :

- وهو كذلك .

ثم قال من فوق كتفه :

- سرك مصون عندي .

وهنا سالت "روبين" التي كانت قد حضرت إليهما :

- اي سر ؟

كبح "پاتريك" انفاسه واصغى باهتمام إلى قول "چوبي" :

- طرفة قديمة بيننا ! اساليه عنها لو اردت . أما انا فسانهب على الفور لإرسال مشروعك بالبريد في "فرونت رويال" ثم اتوجه إلى عيادتي.

- اشكرك مرة أخرى ...

ثم توجهت نحو "پاتريك" تساله :

- اي سر ذلك الذي يتحدث عنه ؟

- آه .. إنها طرفة منذ ايام الدراسة ... وبهذه المناسبة في اية جامعة درست وتخرجت ؟

جاء سؤاله تغييرا لمجرى الحديث واجابت :

- "راد كليف" .

فاومأ "پاتريك" براسه مبتسما . كان يراهن انها قد التحقت بتلك الجامعة القريبة .

- لم اعرف أن بهذه الجامعة شعبة لتدريس علوم الحفاظ على البيئة.

- ليس بها مثل هذه الشعبة . تعلمت كل ما اعرفه بالممارسة .

www.elromancia.com

صعدت إلى الطابق الأول ثم عادت ومعها رواية بوليسية كلاسيكية وواحد من الكتب الحديثة الأكثر رواجا . قالت :

- هذان كتابان قيمان كما ترى .

رأى أنها قد وضعت على رأسها قبعة كبيرة من القش وأمسكت بقفازيها .

- إلى أين تذهبين ؟ هل يمكنني معاونتك ؟

- ذاهبة لاقتلاع الحشائش من بستان الخضر والفاكهة . لن يمكنك مساعدتي في ذلك العمل .

تصورها "باتريك" واشعة الشمس منعكسة فوق ظهرها والقبعة فوق رأسها والشعر النحاسي متلألئ من تحتها وكانها زوجة شابة من العصور القديمة . واضاف إليها خياله الخصب باقة زهور ورداء من "الدانتيل" الإنجليزي الصنع . قالت بنبرة مرحة :

- إلى لقاء قريب !

تاركة إياه لأحلامه .

عندما قفزت "بوه" الصغيرة فوقه عاد "باتريك" إلى الواقع . قال محدثا نفسه : "هذا افضل" ! أي أن شيئا لن يبطل شعاره "سافر كثيرا وسافر خفيفا" .

كان من الغريب أيضا أن يحس هنا عند هذه المراة الشابة الضجرة العنيدة- بارتياح شديد لم يعرفه في شقته الأنيقة بـ"واشنطن" .

تصفح رواية "اجاثا كريستي" التي كان يعرفها جيدا ثم انتقل بعد ذلك إلى رواية الجاسوسية التي تركها أيضا بعد قراءة بضع صفحات منها لأن لديه بضعة أمور واقعية غامضة يتعين عليه النفاذ إلى لبها دون حاجة إلى قراءة تلك القصة بتعقيداتها . تناول كتاب "كيفية العناية بصغار الثدييات وعلاجها" وظل يقرؤه حتى بلغ الفصل المختص بالسناجب .

غادر الفراش بعد ساعة بهدف تنشيط ساقيه مستعينا بالعكازين رأى "روبين" - من خلال النافذة التي تعلو حوض المطبخ- تعمل ببستان

الخضر .

بدت له بتلك القبعة الرومانسية بمثل نضارة فتاة دون العشرين رغم علمه بالجانب الساخر لهذه المراة الجريح بظروف الحياة القاسية أيام كانت تدعى "ليليا إكسبري" .. والتي لم تولد ثقتها بحيث يبوح لها بسره .

جلس إلى المنضدة ليكمل مقاله لكنه افتقر إلى التركيز اللازم للعمل، فكان يفضل أن يكون في البستان مع "روبين" .

دفعته ضجة مكتومة بالطابق الأول إلى الصعود إلى هناك مستندا على درابزين الدرج . وقع بصره في الحال على مصدر الضجة . رأى أن "روزي" قد دفعت زهرية الورد فاسقطتها فوق ارضية الحجرة وتناثر ما كان بها من زهور على الموكيت الذي اكتست به تلك الأرضية .

اعاد "باتريك" الزهور إلى الزهرية التي اعادها بالتالي إلى موضعها، ثم ادرك لشدة دهشته وجود جهاز تليفزيون ومنظار معظم . بقدر ما بدا الطابق الأرضي صارما كانت هذه الحجرة الصورة المجسمة للراحة، ولسمات الرقي بمكتبتها الكبيرة الملأى بالكتب واريكتها المكسوة بالقطيفة المخملية ذات النقوش الزاهية . دخلتها الشمس من فتحتين مغطاتين بالواح زجاجية بالسقف . وإن كانت "روبين" تاكل وتنام بالطابق الأرضي فإنها تحيا حياة البذخ هنا .

ارتسمت ابتسامة عريضة على وجهه وهو يتامل الأنوثة التي نطقت جميع أرجاء الحجرة بها . مد يدا مرتجفة إلى تلك القطعة من الملابس الداخلية المصنوعة من الساتان الوردي والتي كانت موضوعة فوق المزينة واغمض عينيه . صور له خياله ثوب زفاف هذه المراة الشابة المصنوع من الساتان وردي اللون .

www.elromancia.com

الفصل الخامس

صاحت "روبين" مذهولة :

- ماذا تفعل هناك ؟

اكتشفت وجود "باتريك" بحجرتها وبيديه قطعة ثيابها المصنوعة من الساتان الوردي. التفت نحوها وابتسامة تراود شفتيه وهو يمرر يده فوق النسيج الأملس .

قالت بلهجة آمرة :

- أعطنيها !

وانتزعتها منه لتلقي بها فوق المزينة .

- إذا كنت تعتقد أن من حقك أن تعبث بكل شيء فانت مخطئ ! ينبغي عليك أن تحترم خصوصيتي . ابق بالطابق الأرضي و...

صمتت تماما عندما أمسك باصبع الاتهام الذي اشارت به إليه ليطبع على طرفه قبلة .

- لم أعبث ولم أقصد اقتحام خصوصيتك يا "روبين" .

سحبت إصبعها من يده .

- كيف تجرؤ على ...

قاطعها :

- كنت أعمل بالطابق الأرضي وسمعت ضجة . صعدت إلى هنا لأرى.. زهريتك ساقطة على الأرض وبجوارها "روزي" .

كانت هناك بقعة مبتلة واضحة من الموكيت .

- آه ...

عضت "روبين" شفتها . لم تكن هذه هي المرة الأولى التي تعبث "روزي" فيها بالزهور، ومع ذلك أصابتها فكرة اقتحام "باتريك" مجال خصوصيتها بالاضطراب؛ لهذا استطردت "روبين" تواصل حملتها عليه:

- ولماذا كنت ... كنت ...

فقال متنهدا وقد لاح شعاع عبث في عينيه :

- كنت أرى ... ؟

- نعم . ترى هذه ...

- الملابس الداخلية ؟

التقطت نفسا عميقا ثم قالت :

- عد إلى مكانك واجلس على المقعد !

لم يكتف "باتريك" بعدم تنفيذ طلبها بل اتخذ له وضعا مريحا بالاستناد إلى المزينة وهو يقول :

- الجو مناسب للغاية هنا . تقضين في هذه الحجرة جزءا ممتعا من وقتك. تعجبني فتحتا السقف إلى حد بعيد . هل هما من ابتكارك أم كانتا هناك قبل مجيئك ؟

فاجابته بنبرة جافة :

- كانتا هناك قبل مجيئي .

- والمكتبة ؟

- اشتريتها .

شبك "باتريك" ذراعيه فوق صدره :

www.elromancia.com

- لماذا تركتني وأنا أكاد أموت مللا رغم أن لديك بهذه الحجرة كل ما يقتنى لشغل الوقت والذهن ؟!

لم تفكر "روبين" قط في أن تدعوه إلى حجرتها . ما من شك في أنها قد تمنت سرعة رحيله من بيتها مادام يسبب لها كل هذه الحيرة .

فقالت بنبرة غير ودية :

- لم أجهزها خصيصا من أجلك . والآن مادمت هنا ...

ولوحت بيدها متنهدة :

- اشغل وقتك وذهنك كما يحلو لك يا "باتريك" . انتق لك كتابا أو شاهد التليفزيون . وإن لم يكن الاستقبال هنا متاحا . الشيء الوحيد الذي أطلبه منك هو أن تكف عن العبث بملابسي الداخلية.

رمقها بابتسامة عابثة :

- إنني أعاني فضولا رهيبا لأن أعرف أين تضعينها .

تمنت لو أنه يمكنها أن ترفع راحتيها الباردتين إلى وجنتيها المتحرقتين، لكنها أجابت نظرة التحدي التي لاحت في عينيه برجفة كبرياء ومدت يدها إلى أحد أدراج المزينة تفتحه بتعال وهي تقول :

- هذه هي ! لم أعلم أنك صبياني النزعة .

- أصبت بها مؤخرا جدا ... منذ أن التقيت بإخصائية محافظة على الطبيعة، نحاسية الشعر .

عندما حولت بصرها بعيدا عنه ظل يتامل محتويات الدرج طويلا فلم ير فيها شيئا جذابا جدا سوى قطعة واحدة. كبح أمامها أنفاسه .

أقفلت "روبين" الدرج قائلة :

- هل رضيت إذن ؟

قاطعها رنين الهاتف الذي أسرعت لتجيبه بالطابق الأرضي . نادته بعد بضع دقائق :

- "باتريك" يطلبونك في قسم الشرطة لمحاولة التعرف على الشخص الذي نشل حافظة نقودك ذلك اليوم .

بذلت معه جهدا عظيما تحسبا لأن يسقط أثناء هبوطه الدرج . أما

هو فعلى الرغم من استعانته بالعكازين كان رشيق الحركة انسيابي القوام لذا خلب لب المراة الشابة. عندما بلغ قاعدة الدرج دون تعثر دخلت دورة المياه لتغسل وجهها تاركة الباب غير مغلق تماما .

أمسكت بالفرشاة تحاول بلا جدوى إخضاع تموجات شعرها المتمردة، حتى لحق "باتريك" بها :

- اسمحي لي يا "روبين" ...

وقبل أن تتاح لها فرصة الإجابة عليه كان قد استولى على الفرشاة وبدأ يمررها برفق في شعرها الحريري .

رأت على صفحة المراة تعبيرات وجهه الوسيم أثناء التركيز على مهمته . عندما رفع رأسه التقت نظراتهما وتوقف عن الحركة. وضع الفرشاة ببطء فوق حافة حوض غسل الوجه ودون أن يغض بصره عن نظرتها مرر أصابعه في تموجات شعرها الحريري .

تاثرت "روبين" بمشهد كفيه الكبيرتين العابثتين بشعرها فقالت متمتمة :

- إنني .. آه .. الوقت قد حان لنذهب إلى هناك ...

مرة أخرى مرر "باتريك" يديه فوق الكتلة النحاسية التي تم تطويعها بفضل جهوده. وعندما ترك شعرها أكدت نظرته لها أن تراجعه هذا ليس سوى هدنة مؤقتة . ودون أن ينطق بكلمة واحدة أخذ عكازيه وتبعها برفق حتى السيارة الجيب الحمراء التي تنتظر في مكان قريب من بستان الخضر .

- أليس من الأفضل أن نلقي نظرة على الحيوانات قبل أن نرحل ؟ أنت واثقة بأنها ليست بحاجة إلى أي شيء ؟

كان اهتمامه بحيواناتها صادقا بحيث رق قلب "روبين" . قالت وهي تنطلق بالسيارة :

- لايزال أمامي ساعتان على موعد إطعامها .

- عندما تطعمين صغار السناجب هل تحاولين سقيها اللبن الخاص بها بواسطة أنوفها ؟

رمقته بنظرة خاطفة : كيف تسنى له أن يعرف مثل هذه المخاطر؟
فقال مبتسما :

- إنني أعلم ذلك جيدا . ويتحدث الكتاب أيضا عن مصاعب الهضم المحتملة .

رمقته "روبين" بنظرة متسائلة مرة أخرى إذ هالها اهتمامه بالمشكلات المعدية التي تصيب تلك الصغار، لكنه بدا صادقا في مشاعره . لهذا شرحت له ما تقوم به تفصيلا .

عندما اقتربا من مبنى مشيد بالطوب الأحمر ارتفعت حوله أشجار كثيرة قالت "روبين" :

- هذه هي المدرسة التي تذهب "بيتسي" إليها .

- مدرسة ابتدائية؟

- ابتدائية وثانوية لأنه لا يوجد في كل "نيدلز" سوى مؤسسة تعليمية واحدة . واضح أن لا علم لك بالعادات الريفية . تعلم .. هناك احتمال كبير لأن يكون هذا اللص زميل دراسة لمامور قسم الشرطة وإن لم يكن زميل المامور ...

قال "باتريك" مكملا عبارتها :

- من الممكن أن يكون زميل نائب المامور .

ضحك كلاهما . ثم استطردت "روبين" :

- وإلى اليمين كنيسة الطائفة الإنجيلية وبعدها الكنيسة الكاثوليكية إلى اليسار .

- أرى اهتماما كبيرا بالنواحي الدينية .

- نعم . هناك أيضا كنيسة للطائفة البروتستانتية بالقرب من الكنيسة الكاثوليكية .

- بماذا يسمون هذه الناحية ؟ منطقة القديسين ؟

قالت "روبين" :

- بهذا نكون قد وصلنا إلى قلب "نيدلز" . انظر إلى هذا المركز التجاري حديث العهد جدا . فيه يباع كل شيء كما يشتمل المركز على

عدد كبير من المطاعم .

- أرى أنك تجدين هنا ما يسرك .

قالت وهي توقف السيارة لتنتظر بالقرب من الشركة :

- نعم . هذا صحيح في الواقع .

لماذا ؟

- هنا يقدرون المرء بمدى مساهمته في حياة المجتمع وليس على ضوء علاقاته أو ثراء أسرته ...

ثم أضافت مبتسمة :

- ياتونك بالطعام عندما تكون مريضا ويبعدون الثلج من أمام منزلك شتاء دون أن يكلفك ذلك سنتا واحدا .

- بصفتك امرأة تكن عدم ثقة مطلقة بجنس البشرية أرى أنه من الغريب جدا أن تثقي بأهل "نيدلز" .

رمقته "روبين" بنظرة دهشة . رأت أنه محق فيما قال . لم يخطر ذلك لها ببال من قبل . قالت متمتمة :

- ربما . وفي النطاق الذي يمكنني أن أولي ثقتي للغير ... هيا بنا .

لاحظ "باتريك" أن جميع من التقيا بهم كانوا يعرفون "روبين" ، تركت إحدى ربات البيوت يد صغيرتها لتعطي "روبين" ورقة من فئة عشرة الدولارات في يدها .

رفع "باتريك" حاجبا أمام هذا المشهد فقالت له :

- لقد عهدت إلي بقفص به عصفوران في العام الماضي .

- يبدو على الجميع أنهم يقدرونك .

- يقدرون جهودي وأعمالي . أتيحت لي فرص عقد مؤتمرات في دواوين الحكومة وفي المدرسة . والآن يأتي إليّ عدد من الشباب في يوم محدد من كل أسبوع ووفقا لترتيب الدور ليعتنوا بالحيوانات والطيور نيابة عني حتى يمكنني الحصول على عطلة مدتها نصف يوم كل أسبوع .

عندما دخلا المبنى الكائن قسم الشرطة به ظهر معاون الشرطة

www.elromancia.com

امامهما، وقامت "روبين" بتقديم "باتريك" إلى ذلك الرجل الضخم اشقر الرأس. ولم يستغرق الصحفي وقتا طويلا للتعرف على سارق حافظة نقوده عن طريق الصور الفوتوغرافية التي وضعت امامه. لم يكن معاون المامور زميل دراسة بل شقيقه الأصغر. وإذ علمت "روبين" ذلك اختلست نظرة إلى "باتريك" الذي لم يتمكن من كبح ابتسامة.

لكن مزاج "باتريك" المرح لم يلازمه طويلا في ظل اهتمام معاون المامور المفرط بـ"روبين". إذ ظل قابضا على يد المرأة الشابة مدة اطول مما كان ينبغي، ولم يكتف بذلك بل كاد أن يلتهمها بنظراته اثناء حديثه مع "باتريك".

كذلك لم يبد "باتريك" ارتياحا لتصرف معاون المامور مع "روبين". إذ أمسك بكلتا يديها وانتحى بها جانبا حيث اخذ يحدثها وهي تهز راسها تارة اوتجيبه بصوت خافت تارة أخرى. حاول "باتريك" أن يسمع ما كان يدور بينهما من حديث، لكنه لم يتمكن من سماع كلمة واحدة بسبب الموسيقى الشعبية المنبعثة من المذياع.

واثناء تبادلهما الابتسامات اسرع "باتريك" - مستعينا بعكازيه - ينضم إليهما ويطوق خصر "روبين" بيد مستاثرة.

فتحت عينيها حتى اقصاهما ذهلة فقال لها بصوت خافت:

- يتعين علينا أن نمضي يا "روبين".

ثم التفت إلى معاون المامور مصافحا إياه بقوة تتجاوز حدود اللياقة وهو يقول:

- تشرفت بلقائك.

سالته وهي تغادر قسم الشرطة برفقته:

- ما الذي حدث؟

فاجابها وهو يتعامل مع عكازيه برشاقة بالغة:

- لا ينبغي أن نترك الحيوانات بمفردها طويلا.

فاجابته باهتمام وهما يتخذان مكانيهما بالسيارة:

- سيكون كل شيء على خير ما يرام بالنسبة إليها.

نظرت إلى ساعة يدها ثم قالت:

- لايزال لدينا من الوقت ما يكفي للمرور بمحال البقالة. اخبرني يا "باتريك" ما الذي الم بك فجاة؟

- لا شيء. لا شيء! أعشق الوقوف على كعب مصاب بينما يطارحك هذا الـ"دون جوان" الغرام.

ودون مقدمات جذبها إلى ذراعيه وذابت شفتاها في شفتيه.

لم تقاوم "روبين" هذا الهجوم العاطفي إلا بقدر قليل قبل أن تستسلم لقبلاتهما. وعندما وضع يده على ظهرها العاري من تحت قميصها ارتجفت خافضة بصرها نحو رافعة السرعات ثم تنبهت بعد ذلك إلى انهما بداخل سيارتها في ساحة انتظار السيارات العمومية. اعتدلت في جلستها وادارت مفتاح التلامس بيد مرتعدة قائلة:

- لست بحاجة إلى شراء شيء مهم.

سرها أن نبرة صوتها كانت طبيعية إلى حد بعيد. لن يتمكن "باتريك" من قراءة ما بباطنها. استطردت بذات النبرة الهادئة:

- عندما اشتريت احتياجاتي في الأسبوع الماضي كنت أجهل أن مدعوا سياتي إلى بيتي.

قال محدثا نفسه راضيا: "مدعو! هانذا إذن قد رقيت من مرحلة الوصف بالاعرج إلى مرتبة المدعو. كم من الوقت من الممكن أن تستغرق ترقيتي إلى رتبة اقرب إلى الود؟ أرجو الا يكون طويلا! اندماجنا سيكون متفجرا بالقياس على اثر هذه القبلة العابرة فلا تزال ركبتاي ترتعشان تحت وطاتها.

كان يعلم مع ذلك انه قبل أن يتخذ مزيدا من الخطى على طريق القلب يتعين عليه أن ينال ثقتها ... ولم يعلم لذلك سبيلا. يلزمه أن يعرف المشاعر التي عانتها في ماضيها الغامض الذي قلبت صفحته. هل كان فقدها زوجها مفجعا إلى حد أنها لاتزال تعانيه حتى الآن؟

تبعها "باتريك" مستغرقا في هذه النوعية من التفكير من قسم إلى أخر، بينما كانت تضع الأصناف المشتراة في السيارة. عندما توقفت

www.elromancia.com

لشراء بعض أنواع الحبوب وهي ترمقه بابتسامة اضطرب للمشهد الذي يمكنهما أن يظهرا فيه : ربة بيت شابة متفتحة مع زوج مولع بها إلى حد يرفض معه غيابها عن بصره .

قال مصوبا في صمت : "لا . ليس زوجا" ثم قال هامسا :

- سافر كثيرا وسافر خفيفا !

سالته "روبين" وهي تتجه نحوه ثانية :

- ماذا قلت ؟

فاجابها بابتسامة ساحرة :

- انا ؟ إنه ينبغي أن يكون غذائي خفيفا .

رغم عدم ثقة "روبين" لم يسعها إلا أن ترى مدى تعاطفه. ربما يمكنه أن يغض طرفه عنها ويسترخي قليلا ؟ رغم أن "باتريك" صحفي لم يتوصل إلى معرفة اي شيء عنها . لن يبقى تحت سقفها اكثر من يومين. لماذا إذن لا يعيشانهما في سعادة ؟

قاما بترتيب الأصناف التموينية فوق المقعد الخلفي للسيارة . أربع حقائب مدفوعة الثمن والخامسة هدية من صاحب المتجر . طبعت "روبين" قبلة على وجنتيه تعبيرا عن امتنانها لانه وضع في يدها شيكا من أجل حيواناتها .

سالها "باتريك" وهي تعود إلى الطريق :

- واحد آخر من العابثين المعجبين بك ؟

- ماذا ؟

- تطارحين الود جميع رجال "نيدلز" . اليس كذلك ؟

فقالت :

- بلى. لدي من الوالهين الراغبين في الخروج معي عدد ينبغي منحه أرقاما ترتيبية .

- وإذا أردت الاكتتاب انا ايضا فماذا سيكون رقمي ؟

- التاسع والتسعين .

اشتد التوتر بينهما فرات أن تضع نهاية لهذا الحوار ففتحت مذياع

السيارة وعدلت درجة الصوت الصادر عنه بحيث جعلتها أكثر ارتفاعا عن المعتاد حتى تحول دون استئناف "باتريك" الحديث في هذا الموضوع حتى لو رغب في ذلك .

جلسا صامتين يصغيان إلى نشرة الأخبار الجاري إذاعتها . لم تلبث "روبين" أن فقدت اهتمامها بما يقال حتى ترامى إلى سمعها فجاة اسم ما ، إذ قال المذيع :

- "مالكوم" شقيق المتهم "چون دوجلاس إكسبري" سوف يتم تسليمه إلى الجهة المنوطة بمحاكمته عن ممارسة انشطة غير مشروعة ...

تقلصت يدا المراة الشابة فوق عجلة القيادة وخفقت الدماء بشدة في اذنيها بحيث حالت دون سماعها اي صوت سواها .

قالت "روبين" محدثة نفسها في صمت وهي تستعيد احداثا ماضية : "إن "مالكولم" اسوأ من "چون دوجلاس بكثير" لانه نجح في التملص من العدالة على مدى بضع سنوات . أما "چون دوجلاس" فلم يؤمن بان هناك فرصة ما للفرار من العدالة فاختار الطريق الأسهل .. لو صح نعت الانتحار بذلك" .

احست يدا توضع على ذراعها فارتجفت دهشة . كانت تلك يد "باتريك" .

- "روبين" ماذا بك ؟

جف حلقها تماما ومع ذلك تمكنت من أن تقول له :

- ماذا ؟

وركزت اهتمامها تلقائيا على الطريق .

- اسالك: عما إذا كنت بخير ؟ إنك شاحبة تماما . هل أنت على ما يرام ؟

- لا تقلق . مجرد وعكة طفيفة . سوف اتمدد قليلا عندما نصل .

قال بصوت ملؤه الشفقة :

- اتحبين أن اتولى عنك القيادة ؟

قالت وهي تملي على نفسها أن تبتسم إليه :

www.elromancia.com

- لا داعي لذلك .

حمدا لله أنها قد وطئت هذا الطريق مرات لا يمكن إحصاؤها بحيث أصبحت تعرف كل شبر فيه. عندما وصلت إلى الفناء غادرت السيارة وتوجهت إلى المنزل عدوا .

كانت ترتعد بشدة بحيث وجدت صعوبة بالغة في صعود الدرج. ولما بلغت الطابق الأول استلقت فوق الأريكة وتدثرت بأحد أغطية الفراش لكنها ظلت ترتعش أيضا. علمت أن البرودة التي تعانيها نابعة من داخلها .

"إكسبري" أصابها هذا الاسم بجزع دفعها إلى استخدام حقها القانوني في استعادة اسمها قبل الزواج . لكن في كل مرة تسمع فيها النطق باسم "إكسبري". تتذكر صورة حياتها المحطمة ودورها العاجي المدمر بفعل الأكاذيب وبفعل الغش .

في غضون أمسية واحدة أصبحت - هي الزوجة الشابة البسيطة طاهرة النيات التي أولت ثقتها لرجل أعمال ثري - أرملة دون أن تدري فضلا عن اتهامها بأنها شريكة زوجها في أعماله غير المشروعة .

وبعد أن كفت سلطات الشرطة عن تعقبها بسبب الافتقار إلى أية أدلة تدينها لم يتركها رجال الصحافة وشانها، بل واصلوا التحريض ضدها حتى فقدت وظيفتها وحتى طلب منها الأصدقاء الذين التجأت إليهم لإيوائها أن تجد لها مكانا آخر تقيم فيه . أرهقتها كثرة المعاناة حتى إنها بدأت تشك في نفسها وفي قدرتها على الحكم على الأمور . ومن هنا نشأت عدم ثقتها بالآخرين .

وعلى الرغم من جهلها التام بأمر موضوع عملية التهريب التي تورط زوجها فيها بلا حياء ، دائما ما أحست بأنها مذنبة ... بسبب عدم تبصرها وبسبب حماقتها .

وأنها مذنبة أيضا بسبب الكذب المترتب على السهو والغفلة . كان "چويي" و"مارچ" على علم بحقيقة ماضيها، لكن "روبين" لم تتحدث عنها مع أي شخص آخر. اعتبرها جميع أهالي "نيدلز" امراة متحضرة

عصامية، استثمرت ميراثها المتواضع لتحقق حلما بالعودة إلى الطبيعة . ولم تفكر قط في أنها أرملة رجل أسس ثروته على مذابح الحيوانات التي بسبيلها إلى الانقراض .

وبذلك إذا علم الناس أن "روبين ماك كينا" ليست في الحقيقة "ليبا إكسبري" فسوف يضيع منها كل شيء بما في ذلك أملها في الحصول على المساعدة المالية من مؤسسة "وبستر" . لأن الأموال الموجهة إلى حماية الطبيعة لن تسلم قط إلى أرملة رجل حقق ثروة طائلة من خلال الاعتداء على مملكة الحيوان .

إنها تعيش في هذه البقعة منذ خمس سنوات .. كم من الزمن يلزمها أيضا حتى تطوي صفحة الماضي بلا رجعة ؟ أم أن هذا الماضي سوف يعاودها على نحو متواصل لمطاردتها ؟

أخفت وجهها في يديها مستسلمة لدموع غزيرة .

الفصل السادس

"روبين" ؟

استيقظت المراة الشابة على هذا النداء الرقيق لتستشعر دفء الجسد القريب منها .

-همم؟

- أنت أفضل حالا الآن؟

امتدت يد تتحسس شعرها بخفة، لكنها لم تفتح عينيها . تكررت هذه الحركة وبقدر أكبر من الإلحاح عن سابقتها فارتسمت ابتسامة يغالبها النعاس على شفتيها . تكورت بارتياح تنعم بدفء الدثار رغبة في استئناف النوم والعودة إلى حلمها الجميل الذي ظهر "باتريك" فيه أيضا وإن لم تذكر تفاصيله.

- كفى نوما أيتها الكسول.

همس بهذه الكلمات في موضع قريب جدا من اذنها بحيث أحست بانفاسه تداعب عنقها . وعندما قبل حلمة اذنها فتحت عينيها فضحك "باتريك" قائلا:

- كنت أعلم جيدا أن هذه القبلة سوف تعيدك إلى الواقع ... أخبريني هل أنت أفضل عن ذي قبل ؟

تقلبت لترقد على ظهرها ثم تثاءبت ومررت يدها امام عينيها وكانتا لاتزالان ملتهبتين من آثار البكاء . سألت:

- كم الساعة الآن ؟ هل نمت طويلا؟

- حوالي الساعة ...

- كل هذا مشرياتنا

- قمت بوضعها في اماكنها.

-شكراً.

اعتدلت في جلستها قائلة:

- ينبغي أن اذهب واطعم السناجب.

- أود أن أعرض عليك مساعدتي وإن كنت افضل أن اترك هذه العملية الحساسة للخبيرة . أيمكنني أن أفعل شيئا آخر في تلك الأثناء؟

ابتسمت:

- لا .. لن أتغيب طويلا.

- هذا أفضل إذن يا "روبين"! خاصة أنك متعبة . اسمحي لي إذن بمساعدتك عندما تعودين سوف ترقدين فوق الأريكة بينما أعد لك قدحا من الشاي.

دائما ما اعتبرت والدتي هذا المشروب دواء لجميع الأمراض.

أحست "روبين" بارتياح غريب. "باتريك" قلق على صحتها رغم أن زمانا طويلا قد مضى لم تر خلاله أدنى قدر من الاهتمام من أي إنسان . حقيقة أن العدد الأكبر من بين أهالي "نيدلز" يشاركونها المشاعر لكن جميعهم يرون فيها المراة المستقلة القادرة إلى ابعد الحدود . ولم تراود أحدا منهم فكرة مجاملتها باي قدر كان . حتى إن "جويي" و"مارج" اللذين كانا أعز صديقين لها لم يفكرا يوما في ملاطفتها متناسيين أثر مثل هذه المعاملة على نفسيتها.

تجمدت غريزيا. ألا يمكنها أن تتعلم درسا من الماضي؟ أن تبتعد عن

www.elromancia.com

الآخرين ما أمكنها ذلك.

- إنني بخير الآن. ابق هنا أثناء تغيبي، حاول أن تشغل الوقت بماينا سبك من التسلية . وعندما أعود سوف أعد العشاء.

أومأ "باتريك" برأسه، لكنه لم يتحرك قط وظلت عيناه مصوبتين إلى وجهها .

- لماذا تنظر إلي هكذا؟

- أحب مشاهدة انطباعات وجهك لدى استيقاظك خاصة وشعرك على هذه الحال من الشعث.

- والتقطيب يعلو وجهي؟

- وأحب تقطيب وجهك.

امتدت يده القوية تربت وجنتها وتسللت حتى ذقنها . تاهب لتقبيلها. قرأت ذلك بوضوح في عينيه فتراجعت عنه قليلا.

- ينبغي أن أذهب... إلى لقاء قريب جدا ...

واختفت فوق الدرج

رفع "باتريك" حاجبيه . هل "روبين" هادئة بالفعل أم أنها تتظاهر بذلك؟

سمعت اسم "إكسبري" بوضوح بنشرة الأخبار المذاعة وهما على طريق العودة فبدت عليها تعبيرات المرأة المجروحة على الفور. تلك التعبيرات التي ظلت ملازمة إياها طويلا.

ما الذي غير حال المرأة الشابة؟ هل أحست بالانزعاج لذكرى أحداث اليمة أم أنها تعاني لأنها لم تتمكن قط من نسيان حبها ذلك الرجل الذي كان زوجها ؟

قال محدثا نفسه:

- ستكون الفرصة مهيأة أمامي اليوم للصراع ضد ذكرى شبح!

تمنى من كل قلبه لو أنه يستطيع أن يعرف الحقيقة . ماذا فعل إذن ذلك الرجل المدعو "جون دوجلاس إكسبري" وكيف أثر ذلك على "روبين" في تلك اللحظة؟

كان واثقا بأن باستطاعته أن يلجأ إلى "بيل مارش" في أي وقت بهدف إطلاعه على الحقيقة، لكنه أراد أن تخبره "روبين" نفسها بها لأن هذا يعني أنها توليه ثقتها وهو بحاجة إلى تلك الثقة.

هبط الدرج مستغرقا في أفكاره ثم جلس إلى منضدة المطبخ . قفزت "روزي" إلى ركبتيه فمسح على ظهرها على نحو تلقائي.

ذلك الذي يطارد "روبين" من الممكن أن يصيبها بالمرض. تذكر "باتريك" شحوب وجهها عندما كانا في السيارة الجيب واعتصر قلبه . كان يود أن يقشع عنها الأحزان برقة قبلاته، لكن المرأة الشابة لم تكن متاهبة لشيء كهذا بعد . قرر أن يلجأ إلى جميع مصادره، لهذا نهض ووضع "روزي" على أرضية الحجرة رغما عنها . وبدأ يمارس نشاطه في الركن المخصص للطهي تحت نظر القطة الحمراء وسمعها.

عندما فتحت "روبين" الباب استقبلتها رائحة الثوم الشهية والطماطم والأعشاب العطرية بينما وقف "باتريك" أمام الموقد يرتدي مئزرا ويمسك بيده ملعقة خشبية . سألته مبتسمة:

- ماذا تفعل؟

- أنا الطباخ هذه الليلة.

نظر إلى وجهها مليا عندما اقتربت منه فتساءلت: عما إذا كان يمكنه أن يرى أنها قد بكت ثانية؟

فتح فاه ليقول شيئا ما، لكنه سرعان ما غير رأيه عائدا إلى تجهيزاته الغامضة قال:

- رائحتها ذكية .. أليست كذلك؟

- ذكية للغاية... ما هي؟

اعتدل في وقفته نافخا صدره:

- الصلصة الحقيقية للمكرونة الإيطالية كما وضع أصولها "باتريك برادي".

- الحقيقية ؟ ومع ذلك "برادي" ليس اسما إيطاليا.

- في الواقع: إن اسم "انجيلو" هو الإيطالي.

- هل هو اسم والدتك قبل الزواج؟

- إنه اسم والدة والدتي.

- شكرا ، إنها لفتة رقيقة يا "باتريك".

- تمددي فوق الأريكة إذن ... ربما لديك الرغبة في التحدث معي الآن.

قال ذلك ثم عاد لتقليب الصلصة التي فوق الموقد.

سالته وقد اصابها الاضطراب:

- التحدث في ماذا ؟ اصبت بوعكة طفيفة. هذا كل ما في الأمر. فقال دون أن يلتفت إليها:

- حقيقة؟

- حقيقة مؤكدة!

- اخبريني. هل لديك ريحان؟ دائما ما تضع جدتي قدرا منه في هذا النوع من الصلصة.

- سوف ابحث لك عنه .

فتحت احد الأدراج ثم ناولت الطاهي قليلا من أوراق الريحان المجففة.

- شكرا .

- هل يمكنني معاونتك بأي شيء آخر؟

- نعم . حان وقت مناولتي كيسا من المكرونة وبعد ذلك تجلسين لتسترخي .

أطاعته والابتسامة على شفتيها وعندما جلست إلى المنضدة حمل "باتريك" الهرة الكبيرة ووضعها فوق ركبتيها قائلا:

- هذه الهرة لا تكف عن التهامي بعينيها . اشغلي نفسك بها .

- "روزي" تلتهمك بعينيها لأنها أنثى وإنني واثقة بأن النساء يلتهمنك بعيونهن لابد أنك قد اعتدت ذلك.

ترك المقعد ووقف يتاملها طويلا بعينيه العسليتين ثم سالها بصوت أجش:

- تعنين بقولك هذا أنك تحبين ما ابدو عليه؟

أجابته مبتسمة:

- انا ؟ لا . إنني اتحدث نيابة عن "روزي" فحسب.

أحب تلك الابتسامة إلى حد التضحية بحياته طائعا في مقابل أن يبعثها على شفتي المراة الشابة.

انحنى باقصى قدر ممكن معلنا:

- والآن استعدي لتتناولي وجبة من صنع طاه رفيع المستوى .

- ياله من تواضع!

- أحب الصراحة في القول.

ووضع فوق المائدة -باسلوب رسمي متكلف- كوبين مملوءين بالشاي المثلج.

- إنه شراب بسيط لكنني واثق بانه سوف يعجبك.

ارتشفت "روبين" قليلا منه فرات انه لذيذ الطعم مضاف إليه قدر من عصير الليمون.

- حدثني عن جدتك الإيطالية.

استندت إلى الخلف مسترخية تماما وقد اتقدت عيناها اهتماما.

- حقيقة الأمر أن جدتي ولدت في امريكا لوالدين امريكيين وهي ليست مثل الجدات التقليديات. تمقت الحياكة واشغال التريكو ولا اهتمام لها بامور البيت الداخلية . فهي على النقيض مما عرف عن الجدة في أي زمن .

- كيف ذلك؟

- اخفقت في احد الايام في الزج بنا في السجن.. شقيقي وانا.

- لماذا ؟ كم كان عمركما ؟

- عشر سنوات. كنا نقضي عندها إحدى عطلات نهاية الأسبوع فاصطحبتنا إلى المركز تظاهرا بانها تاخذنا إلى مكتب احد المهتمين بالبيئة. لا اتذكر تفاصيل الواقعة جيدا، لكن الأمور .. انتهت بمشاجرة واستاء والدي من مسلكها آنذاك.

ضحكت "روبين" بمرح قائلة:

www.elromancia.com

- تعجبني جدتك إلى حد بعيد.

- يقيني أنها سوف تعجب بك أيضا.

- كم عدد أحفادها؟

- اثناعشر بمن فيهم ، أنا .

- وجدتك الأخرى؟

- توفيت وأنا صبي. لا أتذكر شيئا عنها سوى أنها كانت لها ضفيرة كبيرة تحيط برأسها وأنها كانت معتادة أن تقرأ لنا القصص .

- حدثيني عن أجدادك.

- ليس لدي الكثير لأقوله عنهم . فوالدا والدتي يقضيان فصل الصيف من كل عام بأوروبا. لا أراهما سوى في أعياد الميلاد . عندما كنت طفلة صغيرة كانا يقدمان إلي دمية جميلة في كل عام... وظلا على هذه الحال حتى بلغت الخامسة عشرة .

- وماذا عن والدي والدك؟

- يعيشان في ولاية "أوريجون". كنت أذهب إليهما مرة كل عام لقضاء جزء من عطلتي. إنهما محبان جدا ومفعمان بالحنان. جدتي موهوبة في مجال صنع المخبوزات الراقية. كانت تقدم لي الجاتوه أما جدي فكان يصنع لي أثاث منزل عرائسي.

- لازلت ترينهما كثيرا؟

- أقل حاليا لأن السفر بالطائرة يكلف الكثير. لكننا على اتصال هاتفي مرة كل أسبوع.

- ووالداك؟

- توفي والدي منذ عشر سنوات . وتزوجت والدتي للمرة الثانية منذ خمس سنوات بأستاذ جامعي يعيش في "الاسكا".

- في "الاسكا"؟

- نعم في "إنكوراج" يقوم بالتدريس في الجامعة . كان من الصعب علي أن أتصور والدتي تعيش هناك . كانت شديدة التأثر بالبرد هنا بحيث كانت تشكو البرد لرؤية أقل قدر من الجليد فوق العشب!

ذاق "باتريك" الصلصة ووجدها مضبوطة جدا. ملأ طبقين من المكرونة الإسباجتي قام بمزجهما جيدا بالصلصة الإيطالية التي قام بإعدادها.

قالت "روبين" بعد أن التهمت قدرا في صمت:

- هذا صحيح.. إنك طاه مشهور في مجال المكرونة على الأقل.

- أتشعرين أنك بحالة أفضل؟

قالت بنبرة دفاعية:

- لماذا أنت مصر على القلق علي إلى هذا الحد ؟ نعم . أنا بخير.

- ليست لديك رغبة على الإطلاق في التحدث معي يا "روبين" ؟ لا أطلب سوى أن أقدم لك العون لو كانت هناك مشكلات تواجهك.

- "باتريك" أرجوك أن تغير موضوع الحديث.

كان صوتها لاذعا بقدر أكبر مما كانت ترجوه. لهذا استطردت على الفور:

- أشكرك على رقتك لكن لا مشكلة لدي. كنت متعبة وأعادت لي مكرونتك نشاطي. كانت هذه فكرة رائعة منك.

نهضت من أمام المائدة حاملة معها طبقها الفارغ إلى الحوض وتبعها "باتريك" ليضع طبقه الفارغ بنفسه فوق الطبق الأخر. قال مقترحا:

- أنت تغسلين وأنا أجفف.

فقالت:

- ينبغي أولا وضع قدر من الماء بالسخان.

وبدأت تفعل ذلك.

- لماذا لم تستبدلي هذه المضخة العتيقة بالصنابير العادية الخاصة بالمياه الباردة والمياه الساخنة؟

- إن هذا يكلفني الكثير. حصلت على ذلك الذي توفره دورة المياه لي. في العام الأول اضطررت إلى الاستحمام من فوق حوض المطبخ.

تصور هذا المشهد على الفور وتأثر به جدا. قد تطور اهتمامه بهذه

www.elromancia.com

المراة الشابة إلى حد الوسوسة. ربما تكف عن العبث برأسه بعد ليلة حب سعيدة؟ لم يكن واثقا بذلك. من الذي يمكنه أن يتكهن بان رغبتها لا تتطلب مقاييس عملاقة؟

سكبت "روبين" ماء السخان المغلي بحوض المطبخ ثم وضعت الأطباق والتفتت نحو الأسفنجة فوجدت أن "باتريك" قد أمسك بها قبلها. قال:

- ألا يمكن لهذا أن ينتظر قليلا ؟

- لو أردت... لكن لماذا ؟

أتحرق شوقا إلى الجلوس فوق أرجوحتك تحت الشرفة إنها جميلة جدا.

انتزعت "روبين" الأسفنجة من بين يديه قائلة:

- اذهب إليها إذن وسوف أعتني انا بامر هذه الأواني.

أخذ الأسفنجة مرة أخرى وقذف بها إلى الحوض المملوء بالماء والصابون.

- لا يليق الجلوس بمفردي في أرجوحة معدة لشخصين في ليلة تضيئها النجوم بمثل هذا المشهد المبهج. ألا تعلمين ذلك؟

قادها "باتريك" إلى الخارج دون أن تبدي اية مقاومة حيث جلس فوق الأرجوحة وجذبها إليها معه.

حاولت "روبين" أن تبتعد عنه قليلا لكنه لم يسمح بان تفصل بينهما اية مسافة تذكر. طوق كتفيها بذراعه جاذبا إياها إليه بحيث وجدت نفسها تميل عليه. رفع عينيه نحو السماء متنهدا بارتياح.

- كم تبدو النجوم قريبة هنا ! يشعر المرء كانه يمكنه لمسها. أما في "واشنطن" فاضواء المدينة كثيرة العدد جدا بحيث تحدث حالة متالقة مستديمة من الضوء يضيع فيها مشهد النجوم ويبدو الأمر كانه لا يوجد بالمدينة ليل كامل . عندما كنت صغيرا ...

تساءلت "روبين": كيف يمكنه أن يثرثر على هذا النحو الطبيعي ؟ ألا يسمع دقات قلبها المحمومة؟ يتعين عليه أن يحسب لتاثرها بقربه حسابا: فقد وجدت نفسها شطيرة بين ذراعه وجنبه اللذين ضماها

بشدة كانها قطعة "هامبورجر" بين شريحتي خبز.

احتواها دفء "باتريك" واشتمت رائحة عطر ما بعد الحلاقة الذي بدا كانه خليط الريحان والمردقوش. كان قرب جسده الرياضي الضخم مزعجا جدا. أصابها باضطراب شديد حتى أصبحت في حالة توقع مبهج كبحت له انفاسها .

ما الذي تنتظره إذن ؟ رمقت "باتريك" بنظرة مختلسة . ظل يتحدث، لكنها توقفت عن الإصغاء إليه. غمرها ثقل ذراعه حول كتفيها بإحساس جميل بالطمانينة والأمان. وإن كانت أطراف أصابعه التي لم تكف عن العبث بقميصها ذكرتها بضعفها .. بضعفها الشديد.

- ينبغي علي أن أذهب وأغسل الأواني.

ما الذي أصاب صوتها؟ إنه يرتجف بتاثير عمق المشاعر.

همس "باتريك" في أذنها :

- لا حاجة بك إلى أن تنتقلي من هنا .

- لكن ...

- ابقي هنا حدثيني.

- لا أعلم ماذا أقول لك...

- احكي لي عن أيام طفولتك . هل كنت أنيقة، يصففون لك شعرك على هيئة ذيل الفرس وترتدين حذاء لامعا ؟

وجدت صعوبة في التركيز على اي شيء آخر سوى الإحساس الغامر الذي بعثته فيها ذراع "باتريك" التي تطوقها، لكنها بذلت ما بوسعها :

- كنت اقرب إلى الخشونة في طفولتي . بدلا من ذيل الفرس كانت لي جديلة كبيرة، وبدلا من الحذاء اللامع كان لي صندل عادي، لكنني كنت احب عرائسي ... وكنت اعشق تسلق الأشجار والتنزه على دراجتي.

- وانا ايضا كنت احب تسلق الأشجار، وكنت انتقي لي فرعا عاليا جدا أجلس عليه واقرأ بهدوء على مدى فترات ما بعد ظهيرة كاملة .

- ومعك كلبك بداخل قميصك؟

- حدث ان حملته معي وجن جنون القطط لمعرفة النباح الذي

يزعجها.

ظلا يتبادلان الأحاديث والأسرار حتى ساعة متأخرة من تلك الليلة و"روبين" ممددة قبالة "باتريك" سعيدة بالتحدث عن ذكرياتها.

أبعد "باتريك" رأسه قليلا عنها حتى يرى وجهها جيدا.

- أود لو انني عرفتك وانت طفلة صغيرة ربما لعبنا معا.

- ها. ها. ها ! كنت سأرتدي البنطلون القصير في اللعب!

- أمر محتمل جدا.. على أية حال مهما كانت طفولتك فقد كبرت وأصبحت امرأة شديدة الجاذبية.

نظرت "روبين" إلى عينيه مباشرة وفتنها شعاع الرغبة الذي راته متقدا فيهما. ابتسم برقة وغموض فاحست "روبين" بخطورة الموقف.. ارتجفت إزاء تلك الابتسامة المغوية الشيطانية. قالت :

- الجو بارد قليلا. الا تشعر بذلك؟

- أشعر بدفء مناسب.

- حسنا .. حان وقت إطعام الطيور . تحب أن تأتي معي؟

- ليس الآن.

- هل سبق لك أن رأيت مثل هذه الطيور عن قرب؟

- لا.

- إنها نوع من العصافير الجميلة : لها عيون...

بدأ "باتريك" يمرر إصبعا على وجنتها.

- عيون...

امتد إصبعه إلى شفتيها :

- "باتريك"...

- "روبين"...

كان ذلك كل ما قاله قبل أن يقبلها وكانت قبلته في هذه المرة حارة مستثارة. ضمها إليه برقة متناهية. وبهذا أحس كيف أن قلبها كان يخفق بذات الإيقاع المحموم الذي خفق قلبه به. مسحت يداه القميص الصوفي قبل أن تتسلل إلى ما تحته.

تركت "روبين" نفسها فوق صدره فرأى في تصرفها هذا الدعوة التي كان يأملها. ضمها أقرب إلى صدره قائلا:

- "روبين" .. "روبين" مرري يديك على صدري أيضا ...

فاطاعته بيدين مرتعشتين ربتنا كتفيه القويتين ثم اتجهتا إلى صدره الرياضي العضلي الذي أصبح الآن مألوفا لها والذي حلمت- منذ أول مرة رأته فيها- بأن تمرر عليه يديها . تعانقا بحرارة فأحست بسعادة غامرة لم تعرفها من قبل حتى بين ذراعي "جون دوجلاس إكسبري".

"جون دوجلاس".. ارتجفت إذ تذكرت هذا الاسم كأنها قد تلقت صفعة قوية على وجهها :

- لا !

لم تشعر بأنها تعترض قبل أن تفارق الكلمة شفتيها . صاح "باتريك" غير مصدق كأنه لم يسمع ما قالت جيدا :

- ماذا ؟

- لا يا "باتريك".

جاء صوتها ضعيفا أبح كما لو كانت تحاول أن تجعله مقنعا .

- ينبغي علينا أن نكف عن ذلك.

- ما الذي حدث يا "روبين"؟

- لا شيء . لقد تجاوزنا الحدود . ولا أريد ذلك.

- أنت مخطئة .. لم نتجاوز أية حدود حتى الآن...

عندما حاولت أن تبعد يديها عنه أبقى على راحتيها فوق صدره قائلا:

- هل تشعرين بدقات قلبي؟ إنني شديد الرغبة فيك .. وانت أيضا تريدينني جدا وتعرفين ذلك جيدا .

- لسنا على استعداد لذلك بعد .

- بل نحن على أتم استعداد وهذا هو الدليل!

وعندما ضمها إلى صدره ثانية لإقناعها بأحاسيسه استجمعت قواها وابتعدت عنه بسرعة نحو باب البيت وهي تقول:

www.elromancia.com

- ربما يكون جسدي مستعدا، لا يمكنني أن أنكر ذلك، لكن روحي ليست متاهبة بعد .

فقال:

- ينبغي علي أن أكتفي بحب روحك. اليس كذلك؟

وكانت الإجابة الوحيدة التي تلقاها على سؤاله هذا صوت غلق الباب .

تنهد معجبا باسلوب "روبين" الاستعراضي في مغادرة المكان.

الفصل السابع

عندما استيقظ "باتريك" في صباح اليوم التالي وجد فوق منضدة المطبخ مذكرة من "روبين"، كما وجد طبقا من الشطائر بالثلاجة . تغيبت المراة الشابة على مدى فترة ما بعد الظهيرة ثم ظلت بمفردها لدى عودتها بحظيرة الحيوانات وبذلك لم تسنح الفرصة امامهما لحديث إلا على مائدة العشاء .

تناول حوارهما موضوعات غير شخصية على الإطلاق . علم "باتريك" من خلالها مدى ثقافة "روبين" في مجالات متباينة منها فن التصوير والتاريخ والاقتصاد العالمي والموسيقى فضلا عن إتقانها إعداد بعض الأطباق الشهية التي اعتاد أن يتناولها في بعض مطاعم "واشنطن" . كانت سعادته غامرة وهو يتحدث معها في هذه الأمور وإن كان قلقا من إصرارها على الابتعاد عنه .

قبلت مع ذلك أن يعاونها بتجفيف الأطباق بعد العشاء، لكنها كانت ترتجف في كل مرة يمر فيها بالقرب منها، لذلك وضع يده فوق ذراعها قائلا :

www.elromancia.com

- "روبين"، يجب أن تعلمي انني لست في عداد الذئاب البشرية وانني لن انالك رغما عنك رغم شدة رغبتي فيك .

فاجابته بنبرة جافة :

- اعلم ذلك .

- كفي إذن عن هذا المسلك الذي يوحي إلي بانك تخشين أن افعل بك ذلك .

فقالت متمتمة :

- أعتذر لك عن ذلك. فيك ... فيك شيء ما يكاد أن يفقدني صوابي .

- هذا الشعور متبادل بيننا يا "روبين" !

كبح قسما وأسرع إلى عكازيه حتى يغادر الشقة طلبا لبعض الهواء النقي بالخارج حيث يمكنه التفكير بهدوء تحت الشرفة . ربما رأى انه من الأصوب أن يتصل بـ"چوبي" لياخذه إلى بيته لانه إذا اضطر إلى البقاء بالقرب من "روبين" مدة أطول فسوف يدفعه هذا إلى الجنون ...

لم يكن جسدها وحده هو الذي يرغبه. لماذا لم يفهم ذلك في وقت مبكر عن هذا ؟ فهو يرغب ابتسامتها التي تضيء على من حولها وتنتقل إلى شفاههم ايضا. ويحب طاقتها المتجددة ونشاطها الذي لا يخمد ويحب رقة عطفها ومرحها وبديهتها. نعم يحب أن يكون له كل ذلك .

لكن ينبغي عليه أيضا أن يعرف الحقيقة ومن فمها شخصيا . يريد أن يعرف ذلك السر الذي دفع بها إلى البكاء بالأمس والمسؤول عن الهالات التي ظهرت اليوم أسفل عينيها. ربما ليس باستطاعة ذلك السر تحطيمها جسديا كما حطم تعاطي المخدرات "شيلي"، لكنه شعر انه من الممكن أن يحطمها معنويا .

- "پاتريك" ؟

كانت "روبين" قد لحقت به تحت الشرفة . سالته :

- ألمة شيء ما ليس على ما يرام ؟

قال محدثا نفسه: "لا شيء اقل من ليلة غرامية ساخنة يمكنه أن يعيد أموري إلى نصابها الطبيعي".

ثم أجابها :

- لا. إنني بحاجة فقط إلى بعض الهواء النقي .

- سوف أعد لنفسي قهوة .. تريد قدحا أيضا ؟ قهوة سريعة التحضير إذا لم تر في ذلك ما لا يناسبك .

- نعم . شكرا لك . أحب هذا النوع من القهوة .

قالت قبل أن تعود إلى الداخل :

- سوف أحضر لك قدحك على الفور .

سمع "پاتريك" صوت رنين الهاتف ثم لم يتمكن من تمييز كلمات "روبين"، وإن رأى انها بدت سعيدة بهذه المكالمة الهاتفية لذا أمل الا يكون المتكلم هو مساعد مامور الشرطة الذي أصبح يمقته بصفة خاصة.

أملى عليه الفضول أن يدخل إلى الرواق ليقف على حقيقة الأمر تظاهر بالتلقائية والبراءة وسرعان ما اطمأن قلبه إذ سمع "روبين" تقول "أمي". وقفت "روبين" تراقب موقد الميكروويف باهتمام ، عندما سمع "پاتريك" صوت الرنين فتح الباب وأخرج القدح الكبير الذي كان بالداخل ثم ملأ الملعقة المعدة فوق المنضدة بالبن تمهيدا لإفراغ محتوياتها بالماء المغلي، لكن لم يكن بالقدح ماء مغلي بل فار ميت .

سقطت الملعقة بجلبة فوق المنضدة وتناثر البن منها في جميع الاتجاهات. دوت ضحكة مكبوحة خلف ظهره إذ بدا أن "روبين" كانت تتابع المشهد .

استأذنت من جدتها وأنهت المكالمة حيث انضمت إلى نزيلها والابتسامة تضيء شفتيها .

سألها بنبرة حادة :

- هل هذا هو أحدث أساليب احتساء القهوة ؟

- كيف كان لي أن أعرف أنك سوف تأتي إلى الداخل وتعبث بالفرن الكهربائي ؟ هذا هو الأسلوب الذي أتبعه دائما في إذابة تثليج الفئران.

- ولماذا بحق السماء تقومين بتجميد الفئران ثم إذابة تثليجها ؟

www.elromancia.com

- لاقدمها عشاء للطيور .

تقدمت "روبين" من الثلاجة وفتحت باب غرفة التجميد بها واخرجت منها كيسا من البلاستيك به عدد من الفئران المجمدة وضعته تحت انفه ثم اعادته إلى موضعه لاوية فمها .

- ليس هذا من بين الاعمال المحببة إلى نفسي لكن تلك الطيور من اكلة اللحوم. ولا يمكنني أن اقدم لها اغذية الكلاب .

- من أين تحصلين على هذه الفئران ؟

- "چوبي" يمدني بها. ولم اسأله مرة واحدة عن مصدرها . لانني لا أريد أن أعرف .

نظر "پاتريك" إلى محتويات القدح :

- إنه ليس كبير الحجم بالنسبة إلى صغار السناجب التي ترعينها .

- هذا صحيح في الواقع .. اعطنيه .

اخذت القدح من يديه .

- لا يرضيني أن افعل ذلك لكن من حق تلك العصافير أكلة اللحوم أن تتناول غذاءها .. اسمح لي بدقيقة واحدة اطعم فيها ذلك الطائر وساقوم بعد ذلك بإعداد قهوتك، هذا إذا لم تحب أن تعدها بنفسك، تعرف كيفية استخدام الميكروويف. اليس كذلك ؟

- بالتاكيد. لكنني افضل ان اشاهد العصفور وهو يتناول وجبته . لم تحدثيني عنه قط .

- الأمر لا يستاهل المشاهدة في الواقع. لان هذا الطائر يلتهم الفار على الفور واحيانا يرى الانتظار حتى ابتعد، وعندما يبدا تناول وجبته لا يكون المشهد مشجعا .

- لا اهمية لذلك . يهمني أن أرى كل شيء تفعلينه .

تاملت "روبين" وجهه وهي لا تدري على وجه التحديد ماذا كانت تامل أن ترى فيه. ربما علامات التسلية او فضولا حقيقيا ؟ رات في وجهه تعبيرات غير محددة لكنها مشوبة بالجدية وبالصدق وبالتعاطف .

تبعها "پاتريك" إلى داخل الحظيرة. تاملها وهي ترتدي قفازيها

الجلديين السميكين. وضعت الفار بحذر شديد بداخل قفص الطائر الذي رمقها بنظرة بعينه اليمنى ثم باخرى بعينه اليسرى، لكنه لم يبد اية حركة تذكر .

قالت "روبين" متمتمة :

- أعتقد اننا لن نرى شيئا هذا المساء .

ثم استدارت نحو الاقفاص المصطفة امامها حيث فحصتها مسرعة .

ساعدها "پاتريك" في فحص عدد من الاقفاص الاخرى وقام بتغطية قفص عدد من صغار السناجب. بدت على شفتيه ابتسامة رقيقة لم يفت "روبين" ملاحظتها .

وإذ راى أنها قد رات الابتسامة على وجهه قال متمتما :

- كل شيء على خير ما يرام ...

بدامحرجا من أنها قد وقفت على حساسيته تجاه صغار الحيوانات .

هل كان يخشى أن يبدو حساسا ؟ زاد إحساس "روبين" بافتتانها به .

سالها بغير ارتياح :

- لماذا تنظرين إلي هكذا ؟

- أسعى إلى أن افهمك .

- أنا ؟ لست معقدا على الإطلاق !

- بل انت هكذا ... وباكثر مما تصورت .

إنه صحفي لكنه ايضا رجل ذو حمية فطن وقبل كل هذا مثير . احست بشعور غريب وهي تتامل وجهه ، شعور رفضت التدقيق في فحصه .

اقترب "پاتريك" بمقدار خطوة منها ومد نحوها يدا مررها على صدغها :

- لست سوى رجل يا "روبين" رجل شديد التوق إليك .

- "پاتريك" ...

- اعلم. لست متاهبة لذلك بعد. سوف انتظر لحين أن تصبحي كذلك. وعلى مدى اية مدة يتطلبها ذلك .

www.elromancia.com

تقدم منها بقدر أكبر واضعا يدا خلف رأسها حيث أمسك بالأخرى خصلة من شعرها النحاسي. قال متنهدا :

- ياله من شعر حريري ! حلمت أكثر من ليلة واحدة بأن أنثره فوق وسادتي ... وبأن أمرر أصابعي فيه بينما نمارس الحب. "روبين" ... أشعر أن كلامنا قد خلق للآخر .

ظلت تصغي إليه مفتونة بكلماته عندما دوى صوت نفير سيارة ممزقا هدوء الليل. ظلا لحظة ينظر كل منهما إلى الآخر وقد تسارعت أنفاسهما ثم خرجا معا ليستطلعا الأمر .

وجدا "دون يونسي" وابنه "ماركوس" البالغ من العمر اثني عشر عاما اللذين يعيشان على بعد كيلو متر واحد من الكوخ. عندما رأى "دون" "روبين" قال :

- جئنا بانثى غزال جريح بداخل سيارتنا .

أسرعت المرأة الشابة إلى السيارة حيث ركبتها لترى الحيوان الجريح . وجدتها فاقدة الوعي. قال "ماركوس" :

- إنها صغيرة السن. أليست كذلك ؟ من مواليد هذا العام ؟

أومأت "روبين" برأسها . كان "ماركوس" يأتي إليها أحيانا بعد مواعيد الدراسة ليساعدها في العناية بالحيوانات . سألتهما :

- هل اتصلتما بطبيب بيطري ؟

أجاب "دون" :

- لا . لقد عثرنا عليها بالطريق الآن .

- يمكنكما الرجوع بالسيارة إلى الخلف حتى موقع مخزن الغلال حتى يمكننا إضجاعها فوق فراش من التبن .

قال "باتريك" :

- يمكنني المعاونة في حملها .

سألته "روبين" :

- وكعبك المصاب ؟ من الأفضل أن تقوم أولا بالاتصال بالقيادة البيطرية . رقمها مدون بالقرب من الهاتف .

حمل "دون" و"ماركوس" أنثى الغزال الصغيرة حيث وضعاها فاقدة الوعي فوق التبن وقال "دون" :

- وجدناها على الجانب المنخفض من الطريق . تعتقدين أن سيارة قد دهمتها ؟

- بلا شك ...

حولت "روبين" عينيها -الناظرتين إلى الحيوان الجريح- نحو "باتريك" الذي عاد .

- هل وجدت أحدا هناك ؟

- موظفة الاستقبال فقط . أخبرتني بأن الطبيبة البيطرية الأخرى قد توجهت إلى "رونوك" بسبب إجراء عملية استئصال الزائدة الدودية لابنها على نحو مفاجئ . ولم تعرف أين "چوبي" . تركت له رسالة على جهاز إجابة الهاتف أطلب منه فيها المرور علينا بمجرد عودته إلى بيته .

قالت "روبين" وقد بدا عليها شرود ذهن تام :

- حسنا .

تحسست يداها أنثى الغزال بخفة فعلمت من خلال طويل خبرتها بأن ذلك الحيوان بحالة سيئة، إذ تبينت وجود رضوض وكسور في أماكن متفرقة من جسدها وربما تهتك داخلي أيضا .

نهضت قائلة :

- عندي مسكن للآلام. "باتريك" ابق بجانبها إذا أفاقت يتعين علينا منعها من الحركة ...

تبع "دون" و"ماركوس" "روبين" إلى الخارج حيث توقفا عند السيارة وسألها "ماركوس" :

- تعتقدين أنه يمكنك عمل شيء لها ؟

- لا أعلم لكنني سأحاول . أعدك بذلك .

عندما عادت إلى المخزن حاملة معها بعض العقاقير من المضادات الحيوية ومسكنات الآلام وجدت "باتريك" يربت رأس الحيوان ويحدثه

www.elromancia.com

بنبرة مطمئنة .

كانت انثى الغزال قد افاقت وركزت عليه عينين بنيتين تنطقان بثقة تدعو إلى الحيرة. سحقت "روبين" عددا من الحبوب اذابتها في قدر قليل من الماء وملأت جفنة بالسائل افرغتها في حلق الحيوان. لم يتوقف "باتريك" في تلك الاثناء عن الحديث إلى الحيوان. قال عندما نهضت المراة الشابة ثانية :

- كم هي جميلة ! لم الق بالا من قبل لهذه الرقة البالغة التي تتميز بها هذه الحيوانات. تعتقدين انها ستقاوم وتستعيد حيويتها وصحتها ؟

- لا يمكنني التكهن باي شيء . كنت اود ان يكون "چويي" معنا. وفي انتظار مجيئه كل ما يمكنني القيام به هو علاج جراح قوائمها وامل في أن تتعامل المضادات الحيوية معها .

- أيمكنني القيام باي شيء آخر ؟

- لا . افضل ما يمكن هو جعلها ساكنة تماما والعمل على تهدئتها وطمانتها . هذا كاف جدا .

أمسكت بملاءة مطوية فردتها وغطت بها الحيوان بحركات متقنة عملية اعتبرها "باتريك" فاترة لا مبالية .

ذهبت لتعود بعد قليل ومعها قدر من القطن المتشرب للماء وزجاجة من ماء الاكسجين .

عندما بدأت تطهير جراح القائمين الاماميين اختلج الحيوان وربته "باتريك" ليهدئه. لكن "باتريك" تصور أنه لم يعان بشدة جراح القائمين الخلفيين لانه لم يبد اية حركة اثناء عناية "روبين" بهما .

عندما انتهت "روبين" من عملها قام "باتريك" بتغطية انثى الحيوان بعناية وواصل ربته راسها حتى اغمضت عينيها وعندئذ التفت إلى "روبين" متسائلا :

- ماذا سنفعل الآن ؟

- سوف ننتظر حضور "چويي". أرى أن أتي بمزيد من الاغطية حتى

يمكنني أن اظل بجانبها .

- إنها تبدو بحالة جيدة . ما رايك انت ؟

- لا يمكنني أن اكون رايا بشانها . قد تكون مصابة بتهتك باعضائها الداخلية .

وصمتت لحظة قبل ان تضيف :

- لا تعول عليها أملا كبيرا .

- من الجنون أن تكوني متشائمة إلى هذا الحد يا "روبين" ! سوف تشفى .

واصل "باتريك" اتصالاته الهاتفية برقم "چويي" دون جدوى. بينما اعدت "روبين" الأغطية المطلوبة. عندما عاد إلى المخزن كانت المراة الشابة قد فردت الاغطية فوق مهد مريح من التبن جلست عليه مطوقة ركبتيها بذراعيها وهي تتامل الحيوان النائم بتفكير عميق . قال وهو يجلس بجوارها مستندا بظهره إلى الالواح الخشبية الجانبية .

- تبدين واجمة .

- نعم .

- لا تنزعجي . ستفيق من صدمتها غدا .

أرادت "روبين" أن تخبره بإحساسها بالحزن العميق على هذا الحيوان المسكين وبانها تخشى من أن يكون قائماه الخلفيان مصابين بالشلل التام، لكنها لم تانس في نفسها الشجاعة اللازمة لأن تخبره بذلك .

ظل "باتريك" يتامل انثى الحيوان بمثل انبهار الأطفال. ربما تكون متخوفة بدون مبرر... من الممكن أن تزول كل هذه الاعراض مع حلول الصباح كما يامل "باتريك" . تنهدت ياسا من أن يحدث ذلك. خيم عليهما صمت لم يقطعه إلا صوت المذياع الصغير الذي كانت "روبين" قد حملته معها إلى المخزن. طوق "باتريك" كتفيها بذراعه محتفظا بها قريبة منه . ذكرها هذا الوضع بالأرجوحة ... واتقد جسدها رغبة. ففي هذا المساء احست بالعزاء في ظل قوته بدلا من الخوف من وجوده الرجولي .

www.elromancia.com

تحدثا بهدوء على مدى الساعات وعينا "روبين" لا تفارقان الحيوان. أزعجها انه لم يحاول الوقوف على قوائمه ومع ذلك فضلت ألا تبوح بقلقها إزاء ذلك، خاصة أن "باتريك لم يبد راغبا في أن يسمع أنباء كهذه . ففي كل مرة حاولت فيها الحديث عن الحالة كان يقاطعها متعمدا .

قالت تحدث نفسها وهي تكبح واحدة من تثاؤباتها العديدة: "إنه يبدي اهتماما كبيرا بهذا الحيوان". كان الوقت بعد منتصف الليل بقليل ولم تستطع مقاومة النوم، بينما كان "باتريك" بجانبها متيقظا تماما يقرأ في كتاب "كيفية العناية بصغار الثدييات" وقد تجاوز الفصل الحادي عشر منه. كان يتوقف عن القراءة بين وقت وآخر ليطرح الأسئلة على "روبين". واصل القراءة حتى استسلمت للنوم ورأسها مستند على كتفه .

استيقظت على دفء جسد عضلي راقد بجوارها . دهشت لهذا الوضع لكن نوعية الأغطية المحيطة بها ساعدتها على تذكر الموضع الذي كانت فيه .

نهضت بحرص حتى لا توقظ "باتريك" وتوجهت للاطمئنان على أنثى الغزال .

وجدتها على قيد الحياة راقدة بهدوء وحالتها تشير إلى أنها أقل سوءا عما كانت عليه أثناء الليل... لكنها لم تحرك قائميها الخلفيين. أعطتها "روبين" قليلا من الماء وتوجهت بعد ذلك للمرور على سائر حيوانات وطيور الحظيرة .

بعد ما قدمت لها الغذاء اغتسلت وصففت شعرها ولم تقاوم رغبتها في إلقاء نظرة على "باتريك" بين وقت وآخر وهو نائم . وأخيرا وفي حوالي الساعة الواحدة أحضرت صينية عليها قهوة وبعض الشطائر إلى المخزن وضعتها فوق الأرض بالقرب من الأغطية .

كان "باتريك" راقدا على ظهره وإحدى ذراعيه تحت رأسه وشعره الكثيف الأسود مشعث فوق جبينه وأهدابه الطويلة الفاحمة مستقرة أعلى وجنتيه. مدت "روبين" يدها تزيح خصلة شعر بعيدا عن وجهه

الهادئ .

- "باتريك" ؟

ولم يتحرك . ربتت كتفه برفق :

- "باتريك" ؟

ابتسمت عندما نطق باشياء غير مفهومة ثم مررت طرف إصبعها فوق شفتيه وفوق ذقنه وفوق عنقه حول فتحة قميصه .

تمتم "باتريك بالمزيد . همست له :

- "باتريك ...

ومررت يدها فوق صدره :

- انهض أيها الأمير الوسيم !

نهض على الفور فاتحا عينيه عن آخرهما حيث جذبها إلى ذراعيه .

أحست تحت وطاة دفء المشاعر كان رأسها قد خلا من جميع الهموم.

أصابها دوار شديد وهي تقول :

- "باتريك" إنني ...

زمجر جاذبا إياها إليه :

- اعلم . لست متاهبة بعد ...

لم تدر "روبين" بماذا كانت تجيبه، لكنها لم تعتزم مقاومته . سمعت في تلك اللحظة صوت سيارة تتوقف بالفناء فقفزت على الفور لتستطلع الأمر .

كانت تلك سيارة مركز الرفق بالحيوان التي اعتادت أن تمر بها مرة في كل أسبوع وعلى الرغم مما تبينته من أن تلك لم تكن سيارة "جويي" حرصت على أن تبتسم ترحيبا بالقادمين :

- صباح الخير يا "مايك" صباح الخير يا "بيرني" .

أجابها شاب نحيل وسيم جميل الطلعة قفز إلى خارج السيارة:

- كل شيء على ما يرام يا "روبين" ؟

- عندي أنثى غزال مصابة بالمخزن ولم يمكني الاتصال بطبيب بيطري .

www.elromancia.com

- أمر مؤسف . هل إصابتها خطيرة ؟

رات "روبين" "باتريك" واقفا عند عتبة المخزن واكتفت بأن أومأت برأسها :

- هيا تعاليا لأخذ الحيوانات. سوف تأتياننى باقفاصها الفارغة في المرة القادمة. أليس كذلك ؟

ثم انصرفت في اتجاه الحظيرة يتبعها الرجلان .

اعترض الثعلب الذي أوقظ من نومه عنوة. قالت "روبين" :

- كما ترين أصبح متأهبا للعودة إلى الحياة الطبيعية. ليس بحاجة إلى ما هو أكثر من قدر قليل من التدريب على مدى يوم واحد أو يومين .

لحق "باتريك" بهم بداخل الحظيرة مستعينا بعكازيه ، في اللحظة التي حمل الرجلان فيها قفص الثعلب متجهين إلى السيارة الكبيرة رمقه الرجلان بنظرات الفضول وقال "مايك":

- لم أكن لأعلم أنك قمت باستخدام أيد عاملة منذ مرورنا الأخير عليك. لو كنت قد علمت بأنك تبحثين عمن يعمل لديك لكنت قد بعثت إليك بابني .

فقالت "روبين" وهي ترمق "باتريك" بنظرة مختلسة :

- جاء قراري متعجلا جدا... سوف تكون لدي ثلاث مجموعات من السناجب أعطيكما إياها في الأسبوع المقبل . هل لديكما أي شيء لي ؟

فقال "بيرني" :

- سناجب أخرى موجودة بالقمرة .

فتح الباب وانزل منه قفصا .

- هذه سبعة سناجب من مجموعتين مختلفتين. عمرها ثمانية أيام. سيعود إلي "مايك" يوم الاثنين ومعه ثعلب في دور النقاهة ونسر مجروح أصابه أحد القناصين في عطلة نهاية الأسبوع الماضي .

أخذت "روبين" قفص السناجب وناولته "باتريك" الذي بدأ يعود ببطء في اتجاه الحظيرة في اللحظة التي اقترب "بيرني" فيها من "روبين" قائلا :

- تودين أن تأتي معي يوم الجمعة لحضور الحفل الذي تقيمه الكنيسة الكاثوليكية؟ يمكنني المرور لاصطحابك معي في السابعة.

وضع "باتريك" القفص فوق الأرض على الفور عائدا أدراجه حيث قال:

- لشديد الأسف أنها مشغولة في ذلك اليوم .

اتجه نظر "بيرني" إلى ضماد الكعب وبدا عليه تفكير عميق . سأل :

- سوف تقضي الأمسية بالخارج معك ؟

- معي .

وعاد "باتريك" على عكازيه إلى القفص .

قال "بيرني" :

- لم أعلم أنك تواعدين شخصا ما .

عاد "باتريك" ثانية :

- عهدها حديث بي .

وأضافت "روبين" :

- حديث جدا .

فقال "بيرني" قبل أن يصعد إلى السيارة :

- حسنا . إلى المرة المقبلة إذن .

لوحت "روبين" إلى الرجلين مودعة قبل أن تقول متعجبة :

- ما الذي أصابك يا "باتريك" قبل ذلك مع "إيرل" والآن مع "بيرني"؟ إنك تتصرف كأنني.. كأنني من بين متعلقاتك .

- لا. إنني اكتفي بطرد المعتدين بعيدا عن منطقة نفوذي .

- لست منطقة نفوذ لك !

اقترب "باتريك" منها بمقدار خطوة قائلا :

- هل ينبغي أن أثبت لك عكس ما تقولين ؟

رفعت "روبين" كلتا يديها قائلة :

- لا تلمسني يا "باتريك برادي" . لأن ذلك لن يثبت شيئا على الإطلاق.

- لكنه يثبت مدى رغبة كل منا في الآخر .

www.elromancia.com

- لا يثبت سوى الجاذبية الأولية، جاذبية الرجل والمرأة .

فقال معترضا بينما بدأت "روبين" تبتعد عنه في اتجاه المنزل:

- إنه يثبت أكثر من ذلك بكثير. وعلى فكرة من الجرم جذب الشعر بالأسلوب الذي تفعلينه .

نجحت في أن تبتعد عنه بمسافة معقولة في وسط هذه المناوشة. لم يكن "باتريك" غير راض تماما عن المسار الذي اتخذته الأمور . لم تكن "روبين" رقيقة معه جدا، لكنها قبلت على نحو ضمني أن يقضيا مساء الجمعة معا .

لكن ما كان أكثر أهمية من ذلك كله - وبغض النظر عما أمكنها التظاهر به - أنه عندما تصبح بين ذراعيه تذوب مثل الجليد تحت أشعة الشمس .

- مساء الخير يا "روبين" . حاولت الاتصال بي ؟

وصل "چويي" إلى الحظيرة بحلول المساء في الوقت الذي توجهت المرأة الشابة إلى هناك لإطعام طيورها .

- أين كنت بحق السماء ؟

- ذهبت بسيارتي لإحضار "مارج" و"بيتسي" . وحيث إنني كنت في عطلة اليوم ذهبت لقضاء الليلة عند والدي زوجتي. ماذا هناك إذن ؟ هل رأيت "سوزان" ؟

- اتصلت بها هاتفيا لكنني علمت أنه قد أجريت لابنها عملية استئصال الزائدة الدودية . لهذا أغلقت العيادة مدة أربع وعشرين ساعة .

أحضر "دون يونسي" إلي أنثى غزال مصابة مساء أمس .

- وما أخبار إصابتها ؟

- سوف ترى بنفسك... لا حركة لديها في النصف الخلفي من جسمها.

خرجا من الحظيرة وبدأت "روبين" تحدثه عن الموقف وهما في طريقهما إلى المخزن .

- أبدى "باتريك" عاطفة قوية نحوها. أمر غريب لكنها تهدأ بالفعل

عندما يحدثها. أعتقد أنها تحب سماع صوته .

- لقد اكتشفت أحد أسرار "باتريك" .

- ماذا ؟ أنه يحب مثل هذه الحيوانات ؟

- إن له قلبا عطوفا جدا .

- هذا ما يقلقني إلى حد بعيد. لن يتقبل قط فكرة قتلها .

هز "چويي" رأسه :

- لست معتادا اللجوء إلى مثل هذا الحل دائما. لكنه يفرض نفسه أحيانا .

- أعلم ذلك .

تبادل الصديقان ابتسامة قبل أن يفتحا الباب. وجدا "باتريك" يتحدث إلى الحيوان برقة شديدة .

- أهلا بك يا "چويي". انظر تبدو أكثر تنبها اليوم .

نظرت "روبين" إلى الطبيب البيطري . عندما اعتدل التقت نظراتهما وأومأت هي برأسها قائلة :

- افعل ما ترى فعله. "باتريك" أرجوك مغادرة المخزن دقيقة واحدة .

وتبعها "باتريك" إلى الخارج متسائلا :

- ماذا حدث ؟

تركزت العيون على المخزن الذي غلفته ظلمة الليل والتقطت المرأة نفسا عميقا قبل أن تقول :

- سوف يقتلها .

وتساءل "باتريك" بنبرة ازدراء :

- يقتلها ؟ لا ! إنها أحسن حالا اليوم لنوقفه !

وبدأ يندفع نحو الداخل لكنها منعته بأن أمسكت ذراعه بكلتا يديها .

- هذا أمر واجب يا "باتريك" .

- كيف يكون واجبا ؟ هل لأنه يوفر عليك السهر على علاج هذا الحيوان؟

ركزت "روبين" بصرها عليه في صمت بارد تماما بينما خرج "چويي"

www.elromancia.com

من المخزن معلنا :

- انتهى الأمر .

فقال "باتريك" بنبرة قاسية :

- رضيت يا "روبين" .

لم تجبه على الإطلاق بل اتجهت نحو "چويي" الذي قال مزمجرا:

- وقع الأمر عليه سيئ جدا .

حمل "چويي" الحيوان بين ذراعيه حيث وضعه في سيارته بينما بقيت المراة الشابة بالمخزن . قال "چويي" مخاطبا "باتريك" :

- "باتريك" صديقي العزيز أخطات خطا جسيما .

- كيف حدث أنني أخطات ؟ لقد فهمت كل شيء. رات "روبين" ان وجود الحيوان سيكون عبئا وعملا زائدا عليها و...

فقاطعه "چويي" بقوله :

- كانت الخلبية مشلولة .

فقال "باتريك" متمتما :

- مشلولة ؟

- لم تتخذ "روبين" هذا القرار من فراغ . هذا الحل أحيانا ما يكون الأكثر رحمة يا صديقي .

- إنني آسف ...

- ليس أنا من ينبغي أن تقول له ذلك .

- هذا صحيح .

وانصرف "باتريك" متوجها إلى المخزن لكنه ما لبث أن عاد :

- هل تغفر بسهولة ؟

- إنها من فصيلة القنفذ ...

فتنهد "باتريك" قائلا :

- آه . نعم !

- أيمكنني أن أطرح عليك سؤالا ؟ كيف تراها ؟

- إنها المراة الأكثر إثارة والأكثر عنادا والأكثر معارضة ...

التقط "باتريك" أنفاسه مستطردا :

- يا إلهي! يا "چويي" . أعتقد أنني أحبها .

لم يبد على "چويي" أي قدر من الدهشة :

- ما الذي أصاب شعارك :"سافر كثيرا . سافر خفيفا" إذن ؟

- أصبحت لا أبالي به !

www.elromancia.com

الفصل الثامن

لم تزل عينا "باتريك" تتابعان سيارة "چويي" تبتعد بينما اتجه تفكيره إلى ما عسى أن يقوله لـ"روبين" وعما إذا كانت ستغفر له ما قال من اتهامات لا تغتفر .

عندما دفع باب المخزن ليدخل كانت "روبين" قد تخلصت من فراش الظبية وبدأت تعيد التبن إلى الركن المخصص له باستعمال الجاروف .

- "روبين" ؟

لم تأبه بالرد عليه وواصلت عملية جمع التبن .

دخل المخزن بإصرار ليتقدم منها ويقف في مواجهتها . كانت عينا "روبين" ملتهبتين بسبب غزارة الدموع التي ذرفتها والتي لم تزل آثارها بادية على وجنتيها وأنفها متورد اللون. اعتصر قلب "باتريك" إذ رآها في مثل هذه الحالة من التأثر والإحساس بجرح المشاعر .

التقى بنظرتها المتقدة غضبا . بدأ يقول بصوت ينم عن التردد:

- "روبين" إنني في غاية الأسف .

سالته من خلال أسنان صارة :

- هل تؤمن حقا بما قلته لي ؟

- لا . لا بالتأكيد .

- أنت مقيم عندي وإقامتك هذه والخدمة المترتبة عليها تفوق بكثير ما أتكبده من جهد لدى رعاية عشر غزلان جريحات . تأكل على مائدتي . أغسل لك ثيابك. وتتهمني بعدم الرغبة في السهر على حيوان ضعيف جريح؟

لوى "باتريك" فمه :

- أعلم كل ذلك وقد أخطأت وإنني نادم جدا .

- لن يمكنك سحب ما قلت . أرى أن خطأك لا يغتفر !

أشارت له إلى الباب بأصبعها :

- اذهب واجمع متعلقاتك لأنني لا أريد أن تبقى هنا .

- يا إلهي! "روبين" . إنني أسف جدا. ماذا تريدين أن أقول لك أكثر من هذا؟

أجابته وعيناها تنطقان بالأسى :

- أريدك أن تقول لي وداعا .

- هذا مستحيل !

- آه ترى ذلك ؟ لم تصبح لدي أدنى رغبة في أن أشغل وقتي بك يا سيد "برادي" . إنك تزيد أعبائي. أفضل أن أتخلص منك... كما تخلصت لتوي من الظبية الجريحة .

- لقد أخطأت في حقك خطأ كبيرا وأعترف بذلك ! وإنني على استعداد لأن أقف فوق سطح بيتك وأقول هذا بأعلى صوتي إذا كان هذا يرضيك . لكن لا يمكنك أن تطرديني من بيتك هكذا .

- هل تريدني إذن أن أعد لك حقائبك بنفسي ؟

- لن أمضي من هنا يا "روبين" . ولن أتركك تفسدين ذلك الذي بيننا .

- لا شيء بيننا !

- بل هناك شيء بيننا . وسوف أثبته لك . وسوف ترين كم هو جميل

www.elromancia.com

تقدم منها بمقدار خطوة وقد اتقدت عيناه تصميما .

قبضت "روبين" على الجاروف بكلتا يديها كما لو كانت تقيم حاجزا بينهما. انتزع "پاتريك" الجاروف من يديها والقى به فوق كومة التبن، ثم امسك بمعصمي المرأة الشابة التي قاومت بكل قواها كي تتخلص منه لكنها لم تتمكن .

- اتركني يا "پاتريك" !

- لدي أشياء كثيرة أود أن أطلعك عليها قبل أن أتركك ...

كان صوت "پاتريك" في مثل قسوة الفولاذ رغم رقته الظاهرة :

- أول هذه الأشياء هو ذلك الذي بيننا.

قالت ملحة وإن افتقرت نبراتها إلى القدرة على الإقناع :

- اتركني !

- ليس بهذه السرعة يا "روبين" .

أرادت أن تحرر معصميها من قبضته، لكنه قبض عليهما بشدة بالغة. وعندما فتحت فاها كي تعترض مرة أخرى تحين "پاتريك" الفرصة ليحتوي شفتيها بين شفتيه .

كانت قبلته في هذه المرة مغوية اكثر منها مستأثرة. ولما ارخى ضغطه عليها رفعت "روبين" يديها قبالة صدره حتى تدفعه بعيدا عنها لكنها لم تدفعه .

حول "پاتريك" نظره عن وجهها بمقدار ما يكفي من الزمن لأن يمسك بذيل قميصها ويخلعه من فوق رأسها . وقبل أن تتمكن المرأة الشابة من أن تعترض كان قد استحوذ على شفتيها من جديد في قبلة ذات مغزى تركتها شبه مخدرة الأعصاب .

اختنق صوت "روبين" بحلقها :

- "پاتريك" ...

تبدد ما كانت تريد أن تقوله له من ذهنها بمجرد أن وضع يديه فوق صدرها فلم يسعها سوى أن تتنهد .

لم تشعر بأنها قد حلت أزرار قميص "پاتريك" حتى تغلغلت أصابعها

في شعر صدره الحريري .

قالت تحدث نفسها : "لا. لست متاهبة لشيء كهذا" وسرعان ما صاح قلبها كذبت ! لم تخش "روبين" الحب . فلم يكن "چون دوجلاس" قاسيا بل كان أنانيا فحسب . أحست على نحو مشوش بأن الحب ينبغي أن يجلب ما هو أكثر بكثير مما عرفته بين ذراعي زوجها . أما في هذه الأمسية فكانت على ثقة تامة بأن "پاتريك" سيكون الرجل الذي يكشف لها عن المزيد من خفايا الحب .

للمرة الأولى منذ سنوات تصغي إلى قلبها متجاهلة رأسها . فتحت القميص عن آخره وبدأت تربت له صدره فقال بصوت أجش :

- هكذا . نعم يا "روبين" نعم ...

قادها برقة بالغة إلى حيث كانت الأغطية التي قضيا فوقها الليلة الماضية ...

ما الذي دفعها إلى الاعتقاد بانها غير متاهبة للحب ؟ لم تنتظر- منذ بضعة أيام ماضية- سوى هذا الذي يجري الآن. قالت لاهثة :

- نعم يا "پاتريك" ...

ولم تصبح لديها سوى رغبة واحدة هي أن يواصل إرواء عطشها الشديد إلى الحب . طوقته بذراعيها تجذبه أقرب إليها وهي تهمس:

- أخبرني بما سوف تفعله الآن .

وأجابها متنهدا :

- الآن ... نسيت كل شيء حتى اسمي .

سألها :

- ألا تخاطرين بشيء ؟

- مثل ماذا ؟

- هل لديك أي من وسائل الأمان ؟

- لا . وانت يا "پاتريك" ؟

- لا. لا شيء على الإطلاق ؟

وارتسمت على وجهه ابتسامة أسى . نهض جالسا وحذت هي حذوه

www.elromancia.com

لتطوقه بذراعيها من الخلف. قالت بنبرة مرتعشة :

- ربما لا اخاطر بشيء .

- أنت واثقة بذلك ؟

- لا .

قال :

- لننتظر إذن .

قالت :

- ولو افترضنا انني على استعداد لخوض هذه المخاطرة ؟

- يا حبيبتي لا أريد أن تتعرضي لأي قدر من المخاطرة .

- ماذا نفعل إذن ؟

- ليست لديك ضرورة ملحة للذهاب إلى الصيدلية في "نيدلز" ؟ لشراء معجون أسنان على سبيل المثال ؟

ابتسمت "روبين" ثم أعادت إليه قبلة سريعة كان قد طبعها على شفتيها قائلة :

- أو زجاجة شامبو ..؟

قبلها ثانية ثم قال :

- أو قرص اسبرين ؟

طوقت "روبين" عنقه بذراعيها بشدة قائلة :

- نعم يا "باتريك" . ينبغي أن اذهب لشراء كل ذلك .

سألها :

- وهل الصيدلية لاتزال مفتوحة لاستقبال الزبائن في هذا الوقت ؟

ثم نظر إلى ساعة يده مستطردا :

- الساعة تقترب من الثامنة .

- المحلات هنا لا تغلق ابوابها قبل التاسعة مساء ؟

فقال بنبرة اسى :

- ليس علينا سوى أن نرتدي ملابسنا ثانية .

كانت رحلتهما إلى المدينة مبهجة بحيث تساءلت "روبين" عن اسباب

عدم إحساسها بما يشبه الصدمة الكهربائية في كل مرة يتلامس جسداهما فيها كما كان يحدث لها من قبل . وكان كعب "باتريك" أقل ألما بكثير في تلك الليلة، مما سمح له بقيادة السيارة الجيب .

ابتهجت "روبين" أن راته يقود السيارة. أحاطته بنظراتها الساحرة بدءا من قسماته المتناسقة وذقنه الجريء وشفتيه اللتين تنطقان رقة إحساس .

تفهمت إذن أنها تحب "باتريك" وتلذذ فؤادها بهذا الكشف لا الأسطوري. لم يقع هذا الكشف منها وقع قصف الرعد بل نبعت ثقتها بحبها من داخل نفسها فجلبت عليها هدوءا وسلاما تامين كما تشرق الشمس في الصباح وكما تغير الأشجار لون أوراقها في الخريف وكما تزهر الورود في الربيع .

لم يصبها الحب بالذعر رغم شدة خوفها منه، وبدلا من أن تشك في وجوده أحست بالدفء يغمر قلبها وراودها شعور مذهل بالأمان . لم تعرف ما إذا كان "باتريك" يحبها؛ لكن لم تكن لذلك ادنى أهمية في تلك اللحظة لأنه من المؤكد أنها سوف تعرف فيما بعد. أما الآن فكل ما تعرفه هو أن الحب الذي يبعثه فيها حب جديد شامل، بحيث أصبح كل ما تحتاج إليه هو أن يأخذ "باتريك" كل ما تقدمه له .

لحظت أنه يعاينها الآن بنظرات مختلفة عن ذي قبل .. نظرات أكثر دفئا وأكثر رقة. ربما كان هذا هو الأسلوب المعتاد الذي ينظر الرجل به إلى امراة حياته قبل أن يمارس معها الحب، وإن لم تتذكر "روبين" أن "چون دوجلاس" قد رمقها بمثل هذه النظرات قط. أحست بأنها جميلة في عيني "باتريك" وبانه يشتهيها بينما كل ما كانت تحس به عندما كان زوجها يتامل وجهها هو الم الحرمان وعدم الكمال .

امر غريب. للمرة الأولى منذ سنوات لا تثير ذكرى "چون دوجلاس" فيها اي قدر من الأسى . نعم . كانت ذكرى حياتهما الزوجية يوم أول أمس من القوة بحيث أصابتها بالمرض اما الآن فلا تشعر إلا بالأسف لأنها كانت حتى زمن قريب جدا ساذجة وحمقاء على حد سواء .

www.elromancia.com

أشارت "روبين" لـ"باتريك" إلى المكان الذي يمكنهما أن يتركا فيه السيارة. ودخلا بعد ذلك المركز التجاري ويد الواحد منهما بيد الآخر.

كان عند مدخل مخزن الأدوية قسم خاص يبيع الأعشاب والنباتات الطبية والأدوية المثيلة المهدئة. مرت "روبين" بهذا القسم بخطى مسرعة لتصطحب "باتريك" إلى أكبر عرض لوسائل الأمان الذي رآه طوال حياته.

تساءل:

- لا أكاد أصدق عيني! لماذا كل هذه النوعيات في "نيدلز"؟

رفعت "روبين" كتفيها قائلة:

- لا أعرف سببا لذلك. ربما يرجع ذلك إلى أن الناس هنا ليس لديهم أي شاغل آخر نظرا إلى أن جميع وسائل الحياة وقضاء الوقت تغلق أبوابها في تمام التاسعة.

- هل تفضلين شيئا بذاته؟

- لا.

قام "باتريك" بعملية الانتقاء واتجها نحو باب الخروج لكن "روبين" توقفت فجأة:

- "باتريك".. لا يمكنني أن أذهب إلى الخزانة هكذا. الصيدلي يعرفني جيدا وإذا رأى مشترياتك فسوف يعرف أننا ... أنني ...

- وماذا نفعل إذن؟

جذبها إلى ذراعيه مقبلا إياها بحرارة كبحت لها أنفاسها. سألها:

- أيحرجك هذا أكثر من هذه؟

هزت رأسها:

- لا. لا أعتقد ذلك.

عندما استأنفا السير انتقى علبتين كبيرتين محتويتين على أنواع من الفيتامينات أضافهما إلى المشتريات هامسا في أذن "روبين":

- في وجود هذه الأشياء ربما مرت سلعتنا الغالية غير ملحوظة...

ضحكت على نحو متوتر عندما بدأ الصيدلي يسجل المشتريات. وفي

طريق العودة بدا الكيس الورقي بني اللون الموضوع بينهما كان له خاصية جذب مغناطيسي. ألقى الواحد منهما تلو الآخر عليه النظرات الخاطفة بين وقت وآخر. وفي كل مرة كان "باتريك" ينظر إليه فيها قبل أن ينظر إلى المرأة الشابة كان يبتسم على نحو واعد جعلها تتمنى الوصول إلى البيت بأقصى سرعة ممكنة.

تلاشت شكوكها ومخاوفها أمام ثقتها بأنها تحبه وبذلك شعرت بأنها على استعداد تام وأكثر من أي وقت مضى لأن تفتح له ذراعيها. لم يتصور قط أنه لايزال بوسعها أن تولي ثقتها أي رجل ولو كان صحفيا على وجه الخصوص. لكن مادام كان "باتريك" قريبا منها لم تفكر في مهنته لحظة واحدة. لم تفكر إلا في سعادتها وفي مرحه وفي اهتمامه الزائد بها.

حين أوقف السيارة بالفناء حملت "روبين" كيس المشتريات متسائلة بنبرة رقيقة:

- هل تفضل المخزن أم الفراش؟

- أحلم منذ الليلة الأولى التي قضيتها هنا بأن أحبك تحت النجوم التي تزين سقف الرواق.. وأن أنثر شعرك الأسطوري على مساحة الوسادة كلها.

رأى ابتسامة ترتسم على شفتيها: ابتسامة هدوء حقيقي لا يسعه مقاومتها حتى لو قادته إلى حتفه.

عندما أضاءت الرواق جذبها "باتريك" إلى ذراعيه. تبادلا القبلات بينما قام هو بحل جديلة شعرها المتدلية فوق ظهرها وهو يقول:

- أتحرق شوقا إلى تحرير هذا الشعر الحريري من قيوده.

وترك الشعر ينسدل في تموجات حريرية فوق كتفيها ثم قال:

- والآن الوسادة ...

- ثانية واحدة ...

واحتواها بين ذراعيه.

مدت يدها إلى كيس المشتريات لكن "باتريك" هو الذي فتحه وأخرج

www.elromancia.com

السلعة القيمة منه والقى بها فوق الفراش ذلك الفراش الذي شهد أسعد لحظات حياتهما ...

- "باتريك" هل سيكون كذلك دائما ؟

- تريدين أن تعرفي انه سيكون على هذا المستوى دائما ؟

- نعم . اخبرني .

- لا . لم أعرف قط سعادة كهذه في الماضي .

- مدهش بالنسبة إلي .

- حقيقة ؟

رمقها بنظرة تساؤل .

نظرت "روبين" إلى السقف وتنهدت :

- كنت متزوجة ...

- ثم ؟

- كنت حديثة السن ولا خبرة لي . لم أعرف إذن . لا يستقيم ذلك مع الحب .

سألها "باتريك" متخوفا :

- هل كان قاسيا معك ؟

- لا ... كان فقط قليل الاهتمام بي . كان ينتهي مسرعا ثم يغط في النوم على الفور وأظل أنا مفتوحة العينين اتساءل: عما إذا لم يكن الحب مختلفا عن ذلك في حقيقته ؟

- ثم ما الذي حدث ؟

طرح "باتريك" هذا السؤال بنبرة عادية جدا على الرغم من حدة توتر أعصابه انتظارا لإجابتها عليه ... هل تثق "روبين" به ؟

صمتت طويلا بحيث شعر بانها لن تجيبه، لكنها قالت أخيرا :

- لم يدم زواجنا سوى عام واحد .

- هل أنت التي تركته أم هو الذي هجرك ؟

- كفى حديثا عني ...

ومررت أصابعها فوق صدره قائلة :

- أريد أن تحدثني عن نفسك يا "باتريك" . هل أحببت من قبل حبا حقيقيا ؟

فهم أنها تريد أن تغير مجرى الحديث فلم يحاول الإثقال عليها ... في هذه المرة على الأقل .

- كنت متزوجا أيضا منذ بضع سنوات .

- وما الذي حدث ؟

- كانت لزوجتي بعض المشكلات . لكن عندما تزوجتها وجدت نفسي وقد استغرقت وظيفتي الأولى - ناقد صحفي رياضي- كل اهتمامي بحيث لم يكن لدي متسع من الوقت لأي شيء آخر . وكان من الطبيعي أن تتمكن من تكتم الأمر تماما . وما زاد المشكلة تعقيدا أنني كنت كثير التغيب عن البيت . وفي اعتقادي أن أسوأ ما في الأمر هو أنها لم تثق بي إلى الحد الذي يجعلها تفاتحني في الأمر . لأنها لو كانت قد أخبرتني لكنت قد فعلت المستحيل لمساعدتها .

- ماذا كانت المشكلة ؟

- أدمنت تعاطي المخدرات . توفيت على أثر جرعة زائدة بعد عامين من الزواج .

- لابد أن ذلك كان مأساويا لك .

- لم يكن الأمر سهلا على الإطلاق . لكن أسوأ ما فيه أنني شعرت بانها لم تثق بي ... وأنت يا "روبين" هل تثقين بي ؟

مررت "روبين" يدها فوق صدره :

- أثق بك أكثر مما يمكنني أن أثق بأي إنسان .

لم يكن "باتريك" راضيا تماما بهذه الإجابة لكنه لم ينطق بشيء وساعده على الصمت ربت المرأة الحاني لصدره .

لم يتوصلا إلى ممارسة الحب تحت نجوم سقفها وفقا للخطة الأصلية ؟

هذا ما قالته "روبين" لدى استيقاظها لتجد نفسها بين ذراعي "باتريك"

- لأنه في كل مرة حاولت فيها إطفاء المصباح كان يضيئه ثانية متعللا

www.elromancia.com

بانه يفضل رؤيتها على تلك النجوم المضيئة .

لم يفتقد تلك النجوم كما لم تفتقدها هي . ابتسمت وهي تخرج من بين ذراعيه بحرص لكنه زمجر في نومه واخذت يداه تبحثان عنها .

عندما غادرت الفراش تبينت انهما قد نسيا في تعجلهما الذهاب إلى الفراش بالأمس قد نسيا أن يغلقا باب الكوخ مما حدا بعدو لا بأس به من نزلائها إلى دخول الرواق وقضاء الليلة به.

رأت القطتين تتخذان موقعيهما عند رأس الفراش بالقرب من وسادة "باتريك" بينما تكورت "شانيل" فوق البنطلون الچينز" الذي كان قد تركه فوق أرضية الحجرة . أما "ريتز" فكان نائما على مسافة قريبة منها تحت أشعة الشمس . ورقد ذو القوائم الثلاثة عند قدم الفراش .. حتى الكلاب التي اعتادت ألا تدخل الرواق اختارت في هذه الليلة أن تنام فوق البلاط بالركن المخصص للمطبخ .

رفعت "روبين" حاجبيها غاضبة . بدا الجميع في حالة استرخاء كامل، حتى "پوه"- التي كانت عادة ما تطالب بوجبتها من اللبن في ساعة مبكرة من الصباح- بدت في حالة استرخاء أيضا .

ارتدت "روبين" ملابسها على وجه السرعة وتوجهت إلى الحظيرة يغالبها فضول ما . وضعت أمام جميع الحيوانات وجباتها من الحبوب وقدمت لها الماء النقي ولم يبق أمامها شيء تطعمه سوى صغار السناجب، لكنها وجدت فوق المنضدة العتيقة علبة اللبن الخاصة بها ومعها فتاحة العلب والقطارة .. جميع الأدوات معدة لاستخدامها .

أحست بالدفء النابع من مشاركة "باتريك" يغمر قلبها الذي طالما عانى قسوة البرودة والوحدة على مدى السنوات الماضية. بدأت تطعم الصغار وقد ارتسمت على شفتيها ابتسامة شاردة . لما انتهت من إشباعها وتغيير ضماداتها أسرعت عائدة إلى الكوخ. وجدت أن "باتريك" لايزال مستغرقا في النوم يضم الوسادة إلى صدره وكأنما يسعى إلى أن يضمها إليه فلم يجد أمامه سوى الوسادة التي كانت تضع رأسها عليها .

خفق قلبها بشدة أمام هذا المشهد .

كيف وقعت في غرام هذا الرجل في مثل هذا الوقت القصير ؟ ولماذا لم يسبق لها قط أن عرفت مثل هذه الأحاسيس العميقة مع زوجها على الرغم من أنها كانت تواعد "چون دوجلاس" على مدى ما يقرب من عام قبل الزواج به ؟

جلست "روبين" فوق حافة الفراش تتحسس وجنة "باتريك" باصابعها . لم تعلم ما إذا كان يهمه أن يسمع منها ذلك، لكنها رأت أنه بحق أجمل رجل التقت به طوال حياتها .

تنهدت . كان من الواجب أن تخبره بذلك أكثر من مرة !

قررت أن تقدم له في ذلك الصباح فطورا غير تقليدي، لذا أعدت العجين اللازم لصنع الشطائر وفقا لوصفة جدتها التي تعيش في الـ"أوريجون" .

عندما التفت ذراع حول خصرها من الخلف بهتت لحظة قبل أن تلقي برأسها بين ذراعي "باتريك" الذي قال هامسا في أذنها :

- يا إلهي! كم أن هذا رائع !

- تحب عجين الفطائر مضافا إليه ماء زهور البرتقال ؟

- لا . أحبك أنت .

ودس وجهه في شعرها . عادت "روبين" إليه لتطوق عنقه بذراعيها لكنها أحست بشيء من الخوف . لم يكن بحياتها سوى رجل واحد : زوجها ولم تعلم كيف تتصرف في صباح ليلة حب جامح . قالت :

- صباح الخير .

- نعم . نعم ...

وعندما هم يعانقها من جديد قالت :

- اتركني الآن ... حتى أعد لنا الفطير .

تنهد قائلا :

- حسنا جدا. سوف أجلس هنا اراقبك وانت تصنعينه.

أدارت "روبين" ظهرها نحوه لكن قبل أن تتمكن من أن تمسك بشيء وجدت نفسها ممددة بجواره فوق الفراش. سألته:

- هل تحبني؟

- إلى حد الجنون!

- وانا ايضا أحبك بجنون يا "باتريك".

الفصل التاسع

قال "باتريك":

- "روبين" حدثيني عن زوجك.

كان ذلك بعد ممارسة الحب معا بمخزن الحبوب حيث ظلت "روبين" بين ذراعيه ولا يكف هو عن ربت شعرها وذراعها وجسدها.

لزمت الصمت. وتظاهر هو بالاسترخاء التام حتى لا يطلعها على القيمة التي يعلقها على إجابتها. مادام واثقا بأن الحب يجمع بين قلبيهما فلن يستريح بحق قبل أن تتوطد بينهما اسرار مهمة. قالت ببطء شديد بعد فترة من الوقت بدت كأنها لن تنتهي:

- التقيت بـ"چون دوجلاس" بالجامعة. كنت في التاسعة عشرة آنذاك وتزوجنا يوم عيد ميلادي العشرين.

- كنت صغيرة السن.

- كنت صغيرة السن جدا! كنت أنتمي إلى أسرة عريقة من المشاهير. وكان "چون دوجلاس" حديث الثراء. هل تدرك الفرق؟

- لا. في الواقع. اشرحيه لي.

www.elromancia.com

اتكأت على مرفقها :

- كانت أسرتي مستقرة في تلك المنطقة منذ زمن طويل وكانت لها ثروة يعتد بها وفرت لنا حياة رغدة هادئة ... على الأقل حتى ذلك اليوم الذي بدد والدي فيه كل ثروته في استثمارات مشؤومة خاسرة . كانت أسرة "چون دوجلاس" في ذلك الوقت تمتلك منزلا حديثا جدا وظهروا بمظهر البذخ الصارخ . كان مختلفا عن جميع من عرفتهم من الناس اختلافا كليا . كان صورة مجسمة للنشاط والحيوية . ووصفني بانني اميرته وبلغ الأمر به أن أهداني تاجا زينت به رأسي يوم زفافنا .

خفت صوتها حتى صمت ووضعت رأسها فوق كتف "پاتريك" من جديد . سألها هامسا في أذنها بصوت أجش :

- هل كنت سعيدة ؟

- ربما على مدى شهر واحد أو شهرين . لا أدري... كنت اتصور انني سعيدة . ودون أن تدري مررت يدها فوق صدره العضلي .

- كنت أعلم أن شيئا ما لا يسير في مجراه الطبيعي أمام كثرة تغيبه عن البيت بلا مبررات معقولة ومؤتمراته المزعومة مع شقيقه في المساء . لكنني كنت من الغباء بحيث انني لم اشك لحظة فيما كان يجري . كان من المفترض أن يتركز نشاط "چون دوجلاس" في مجال الاستيراد والتصدير . لماذا إذن كانت جميع أعماله تتم في مثل هذه الساعة المتأخرة دائما ؟

- ما الذي حدث إذن يا حبيبتي ؟

وضع يده فوق يدها . قالت :

- في إحدى الأمسيات تشاجر مع "مالكولم" على نحو مخيف . وإذ لم يمكني احتمال ارتفاع صوتيهما ركبت السيارة وتوجهت إلى بيت والدتي . وعندما عدت إلى بيتي بعد ذلك بساعتين وجدته ميتا متوفيا . انتحركما يبدو... ومع ذلك تساءلت أكثر من مرة واحدة عما إذ لم يكن "مالكولم" ...؟

وصمتت .

انتحار !

قال "پاتريك" مواسيا :

- لابد انك قد عشت ظرفا دقيقا جدا .

- تبينت انني قد أصبحت أرملة ولم أبلغ بعد عامي الحادي والعشرين .

- وما سبب انتحاره ؟

بدا التوتر واضحا عليها لهذا أخذ يمرر يده فوق شعرها . التصقت به لحظة ثم ابتعدت عنه لتجلس مطوقة ركبتيها بذراعيها .

- اكتشف "چون دوجلاس" أن... أن هناك شكا في أنه يعمل في التهريب وأن تحريات تجري حوله... لم يستطع احتمال هذا الموقف على حد اعتقادي .

فقال "پاتريك" بنبرة عادية كأنه يفكر بصوت عال :

- فهمت . كان مذنبا .

- بالتأكيد .

سألها وهو يقترب منها :

- ماذا حدث بعد ذلك ؟

- تمت مصادرة كل ممتلكاته ومتعلقاته بما فيها كل ما أحضرته معي عند الزواج . ورفض الجميع الإصغاء إلي . حتى شركة التامين على الحياة قالت لي : "إننا آسفون يا سيدتي .. لأنه انتحار . ولن تحصلي على سنت واحد" وفي غضون أسبوع واحد تحولت من أرقى الصيحات في عالم الأزياء إلى البنطلون الچينز والقميص الفضفاض .

جذبها "پاتريك" بذراع حانية حتى تسند ظهرها عليه :

- وما الذي حدث لشقيقه ؟

- لاذ بالفرار حاملا معه جميع المبالغ المتعلقة بحساب شركتهما ... وقد تم القبض عليه مؤخرا وتم ترحيله إلى "نورفوك" حيث ستجري محاكمته .

- والصحفيون ... تدخلوا في هذه القضية . أليس كذلك ؟

www.elromancia.com

أومات "روبين" برأسها إيجابا :

- لاحقوني بلا رحمة حتى أروي لهم جانبي من القضية . كانوا متعطشين إلى التفاصيل الدنيئة . أطلقوا علينا لقب "الأميرة والولد الشرير". كنت صغيرة السن ساذجة، فاحسست بالضياع التام . قلت أشياء بلا ترو واحتوتني إحدى الجهات الصحفية في قبضتها .

صمتت تماما من هول تلك الذكريات المفزعة ثم التقطت نفسا عميقا حتى تطردها به .

- ألمح بعض الصحفيين إلى أنني كنت على علم بانشطة "جون دوجلاس" المشبوهة... وانني قد لذت بالصمت بسبب حبي الأموال التي يجلبها، وأسوأ ما في الأمر كانت تلك الشائعة القائلة: إنني كنت شريكة لهما في هذه التجارة المحرمة .

- لم تكوني كذلك !

- هل أنت واثق بما أقول أم ينبغي علي أن أقدم لك الدليل ؟

صاح بنبرة المجروح :

- "روبين" !

- آسفة .

التفتت نحوه كي تضمه إلى صدرها ثم أراحت رأسها فوق كتفه:

- لقد أفقدت هذه القضية ثقتي بالآخرين تماما، ولازلت أعاني آثارها كما ترى .

- أخبريني بكل شيء .

- لم يشأ سرب الصحفيين أن يتركني وشأني يا "باتريك"، حتى إنهم عندما تركوني بعد طول معاناة كنت قد فقدت وظيفتي . والأصدقاء الذين كنت قد التجأت إليهم لإيوائي في تلك المحنة طلبوا مني أن أجد لي مكانا بعيدا عنهم . عشت فترة من الزمن في "موتيل" صغير وضيع على أمل أن تتحسن الظروف وأن تعود حياتي إلى ما كانت عليه فيما مضى .

تنهدت :

- لكن كل آمالي انهارت فجأة عندما اصطحبني صديق قديم بسيارته إلى بيتي . وقبل أن يتركني ضمني بين ذراعيه متمنيا لي كل شجاعة .

رفعت عينيها إلى "باتريك" قائلة :

- مجرد صديق. وصور صحفي في كمين هذا الوداع وظهرت الصورة في الصحيفة في اليوم التالي مصحوبة بتعليق بأن الأميرة لم تضع أي قدر من الوقت بعد وفاة زوجها . وتبع هذه الواقعة مقال نشر بالصحف يلمح بأن "جون دوجلاس" ربما لا يكون قد انتحر . بناء على ذلك جمعت ما تبقى لي من قليل المتعلقات في حقيبة واحدة وغادرت "نورفوك" بصفة نهائية .

ضمها "باتريك" إليه :

- إنني مقدر أسباب عدم ثقتك بالصحفيين . وإنني آسف جدا يا حبيبتي .

هزت رأسها فلامست خصلات شعرها الحريري صدره على نحو ممتع .

- لست مسؤولا عما حدث لي. يبدو أن بعض أفراد الصحافة كانوا يبذلون جهدا خارقا لإمداد باب الفضائح بمادة للنشر .

تجولت يد "باتريك" في شعرها على نحو يدل على شرود ذهنه وهو يسألها :

- ما نوع العمل غير المشروع الذي كان زوجك يمارسه على وجه التحديد ؟

- كان هو وشقيقه يشتريان فراء بعض الحيوانات المحرم صيدها خفية ويعيدون بيعها .

- لهذا كان اهتمامك الحالي بتعليم العامة ما يلزم عن الحيوانات التي في طريقها إلى الانقراض. أليس كذلك ؟ ترين أنه ينبغي عليك أداء دور ينطوي على بعض التعويض ؟

هزت "روبين" رأسها نفيا :

- لا . ربما كان ذلك نتيجة طبيعية لهدفي... طالما راودتني الرغبة في

www.elromancia.com

حماية الطبيعة. واشعر الآن أنني على الطريق الصحيح.

لم يشك "باتريك" في ذلك لحظة واحدة، فقد رأى تعبيرات وجهها عندما تبدأ ممارسة أكثر أعمال هذه المهنة صعوبة.

- كيف أمكنك المجيء إلى "نيدلز"؟

- أحد الأشياء التي تركها والدي لي عند وفاته - بالإضافة إلى المرتب الشهري البسيط الذي أعيش به - كان هذا الكوخ ... عندما كنت طفلة صغيرة كنا نأتي إلى هنا في كل عام. كان والدي يمارس رياضة صيد الأسماك وأمي تتحين الفرصة للاستجمام وكنت أنا أتردد فوق دراجتي على طفلة صغيرة من أهل "نيدلز" كانت صديقتي.

- "مارج"؟

أحس "باتريك" أنها تبتسم قبالة كتفه:

- نعم.

- التجأت إلى هنا إذن و...

- وقدمتني "مارج" إلى "چوبي" الذي كان قد افتتح عيادته البيطرية مع شريكته. قدم لي وظيفة لديه كمساعدة بالعيادة وبدأ العملاء يترددون عليه حاملين معهم العصافير أو السناجب وبدأت أنا أحملها إلى هنا كي أشغل بها أوقات فراغي أثناء عطلات نهاية الأسبوع.

- أقدر ذلك.

- فكرت أنا و"چوبي" في إمكان إيواء بعض الحيوانات المفترسة لأن الكوخ أكثر هدوءا من عيادته، وتتحسن صحة الحيوانات المريضة على نحو سريع إذا توفر لها الهدوء. وقد ساعدني "چوبي" في الحصول على الترخيص اللازم لمزاولة عملي في مجال الحفاظ على الطبيعة.

أشرقت عليه بابتسامة مضيئة وهي تقول:

- وهذا ما وصلت إليه ...

قال:

- أحبك.

ثم عانقها في قبلة طويلة حارة.

وتبددت بقايا عدم الثقة به إذ رأت أنه أهل للثقة بحق ... وجذبها معه تحت أغطية الفراش.

انتهيا من تناول وجبة عشاء هانئة عندما سمعا رنين الهاتف. نهضت "روبين" ضاحكة من فوق ركبتي "باتريك" كي تجيبه:

- ألو.

اختفى المرح من وجهها على الفور وتركزت نظراتها على وجه "باتريك":

- لا. لا إزعاج على الإطلاق ... "ريتشموند"؟ نعم. يمكنني الذهاب إلى هناك يوم الجمعة.

وما لبثت أن أضاءت الابتسامة ملامحها:

- أشكرك يا سيدة "روسيل". شكرا جزيلا.

أعادت السماعة ببطء إلى موضعها وظلت أصابعها قابضة عليها كما لو كانت تريد أن تتأكد من أنها ليست في حلم سعيد. طوق "باتريك" خصرها من الخلف فاستدارت بين ذراعيه كي تتعلق بعنقه.

- لقد حدث! لقد نجحت!

- نجحت في ماذا؟

- المساعدة المالية التي كنت قد تقدمت لطلبها. منحوني إياها! ليس بصفة رسمية بعد. ينبغي علي أن أذهب إلى "ريتشموند" يوم الجمعة لمقابلة مدير المؤسسة. لكن المجلس مهتم جدا بمشروعي. أخبرتني هذه السيدة، السيدة "روسيل" بأن ملفي هو أفضل الملفات المقدمة ... سوف أزف الخبر إلى "چوبي" فورا.

فقال "باتريك":

- "روبين" ينبغي أن نحتفل بهذا النبأ. ادعي "چوبي" و"مارج" إلى هنا. بينما أقوم أنا بجولة في المدينة أحضر فيها ما نحتاج إليه.

امسك بمفاتيح السيارة ثم قبل "روبين" طويلا قبل أن يقول من فوق عتبة الباب:

- استبدلي ثيابك في تلك الأثناء. أريد أن استمتع برؤية ساقيك.

www.elromancia.com

عندما عاد "باتريك" كان "چويي" و"مارچ" و"بيتسي" الصغيرة هناك بالكوخ . أبدى سعادة غامرة بلقاء أصدقائه لكن عينيه لم تبرحا "روبين" قط . إن كان قد أمل في أن يراها في ثوب قصير لم يكن لديه ما يشكوه في هندامها تلك الليلة فقد ارتدت بنطلونا ضيقا أسود مع قميص أبيض منخفض فتحة العنق يكاد نسيجه الفخم أن يفضح ما تحته من ثياب داخلية مذهلة باللون الوردي الذي يعشقه "باتريك" .

همس في أذنها وهو يناولها زجاجة المشروب الفاخر :

- إنك مذهلة !

جلس الأصدقاء الأربعة يجمعهم حوار مرح ممتع على مدى فترة طويلة امتدت حتى عادت "بيتسي" متثائبة من الحظيرة حيث كانت قد ذهبت لتلعب مع الحيوانات . استأذن والداها للرحيل بينما تشبثت هي بعنق "روبين" تقترح عليها السماح لها برعاية الحيوانات أثناء عطلة نهاية الأسبوع إذا أرادت أن تطيل مدة إقامتها في "ريتشموند" .

قالت بصوتها الرفيع :

- تعلمين .. أنت وعمي "باتريك" سوف تنسجمان جدا معا .

وقالت "مارچ" :

- هيا بنا ...

ثم التفتت إلى "روبين" قائلة : أرى أن ابنتي لا تعوزها البصيرة.

اصطحب "باتريك" الزائرين حتى سيارتهم ثم عاد والابتسامة على شفتيه .

- "روبين" ألا ترين أنت أيضا أن "بيتسي" متبصرة ؟

اتقدت عينا "روبين" وتقدم منها كي يأخذها بين ذراعيه .

تلقت "روبين" يوم الجمعة ما يفيد أنها الفائزة بمعونة مؤسسة "وبستر" المالية . ونظرا لقبولها عرض "بيتسي" قضت عطلة نهاية أسبوع رومانسية في "ريتشموند" بصحبة "باتريك" . نهضت فجر الاثنين كي تذهب إلى الحظيرة لتطعم حيواناتها .

أحست بسعادة لم تعرفها من قبل طوال حياتها . عادت بعد ذلك

لترقد بجوار "باتريك" الذي لم يزل نائما .

استيقظت على صوت رنين الهاتف بعد برهة قصيرة وأسرعت إليه تجيبه . سمعت صوت رجل جاف النبرة يقول :

- الآنسة "ماك كينا" ؟

- نعم "روبين ماك كينا" .

- أنستي إنني "دانيال فوستر" محامي مؤسسة "وبستر" .

- صباح الخير يا أستاذ "فوستر" .

- إنني آسف لكن على ضوء المعلومات التي تلقيناها مؤخرا تجد المؤسسة نفسها مضطرة إلى أن تسحب منك المساعدة المالية. لا نريد أن يرتبط اسم منشأتنا من قريب أو من بعيد بفضيحة ما.

قالت "روبين" مذهولة :

- معذرة .. ماذا ؟

- أرجو أن تقدري موقفنا . لا نسعى إلى المساس بمشاعرك بأي أسلوب. ونحن آسفون بحق للمصاعب التي سوف تترتب على إجرائنا هذا، لكنك لا شك تقدرين أن منشأة صغيرة خاصة مثل منشأتنا ينبغي أن تكون ملتزمة إلى أبعد حد .

- يا سيد "فوستر" لا أفهم إطلاقا إلى ماذا تلمح .

فأجابها المحامي بنبرة تنم عن نفاد الصبر :

- يا آنسة "ماك كينا" ينبغي أن تقدري أنه ليس بإمكاننا أن نتجاهل المعلومات التي تكشفت لنا بالأمس بإحدى الصحف . إننا آسفون جدا . إلى اللقاء .

- يا سيد "فوستر" ؟

أنهى المكالمة . أرادت أن تسأله عن اسم الصحيفة التي نشرت تلك البيانات . رأت أنها لابد أن تكون صحيفة الأحد التي تصدر في "ريتشموند" . لكن كيف يمكنها أن تعرف ؟ ظلت تحدق النظر إلى الهاتف

www.elromancia.com

كما لو كان يمكنه أن يزودها بالإجابات المطلوبة .

ناداها "باتريك" من فوق الفراش :

- "روبين" ؟ ماذا حدث ؟

- لا أدري .

ضحكت :

- سحبت مؤسسة "وبستر" المساعدة المالية التي سبقت أن خصصتها لي . لا أدري ذنبا ارتكبته .

دفع الغطاء عنه برشاقة وأصبح بجانبها في ثلاث خطوات حيث طوق كتفيها بذراعيه :

- بماذا أخبروك على وجه التحديد ؟

أخبرته بتفاصيل الحوار الذي دار بينها وبين محامي المؤسسة فقال:

- هيا بنا إلى بائع الجرائد حتى نستوضح الأمر بنفسينا .

أومأت "روبين" برأسها موافقة ثم استندت عليه . ربما تستطيع بعد قراءة ذلك المقال أن تحدد كيفية تصرفها .

- إنني واثقة بأن هناك سوء فهم ما يا "باتريك" . هذا المال يلزمني جدا .

جذبها "باتريك" حتى تجلس بجواره فوق الفراش .

- أعلم أنك بحاجة إلى هذه المساعدة المالية لكن إذا لم يمكنك الحصول عليها يمكنك أن تواصلي عملك بالأسلوب الحالي في انتظار الفرصة القادمة .

رأى توتر فكيها وذبول نظراتها :

- هل يمكنك ذلك يا "روبين" ؟

هزت رأسها ببطء :

- اضطررت إلى رفض عدد من الحيوانات في الربيع الماضي يا "باتريك" العشرات منها . لعدم توفر الأقفاص اللازمة ولا الغذاء

الضروري لها . والحضانة العتيقة التي تعمل بالماء الساخن على وشك التعطل .

- تتعاملين مع أحد المراكز ...

فقاطعته قائلة :

- لديه عجز في هذا المجال وإلا لما عهدوا إلي ببعض الصغار .

بعثت نظرات "باتريك" الدافئة فيها طاقة متجددة فاستطردت :

- هيا بنا إلى المدينة . أنت محق في الرأي . وسوف أتركك في طريقي بعيادة الدكتور "مارتن" . يريد الاطمئنان على كعبك اليوم .

- أفضل أن أكون معك .

قبلت "روبين" وجنته .

- لا داعي لذلك . ينبغي علي فقط أن أرى المقال بنفسي حتى أعرف من الذي قاد المؤسسة إلى هذا الخطأ . هذا كل ما في الأمر .

فقال :

- لكنني لم أحصل على موعد مسبق من الطبيب .

- ليس لـ "نيدلز" من خواص المدن سوى الاسم . لا تنس أن هذه المنطقة ريفية .

بعد انقضاء حوالي الساعة تركت "روبين" "باتريك" عند باب عيادة الدكتور "مارتن" وواصلت السير إلى تاجر الصحف . لم يكن قد تبقى لديه سوى نسخة واحدة من صحيفة الأحد التي تصدر في "ريتشموند" وأخذتها المرأة الشابة بلهفة . اهتدت مسرعة إلى المقال الذي كانت تبحث عنه وعنوانه "تخصيص المعونة المالية التي تمنحها مؤسسة "وبستر" لأغراض حماية الطبيعة للآنسة "روبين ماك كينا" بـ "نيدلز" هذا العام ، وقد عرفت الآنسة "ماك كينا" فيما سبق باسم "ليليا إكسبري" التي كانت زوجة "جون دوجلاس إكسبري" ...

كانت المقالة بمثابة سرد موضوعي محايد لأحداث ماضية، لكنها

www.elromancia.com

أثبتت أن الشكوك التي سبق أن حامت حولها قد حدت بالمؤسسة إلى سحب منحتها . وكانت النتيجة ماساوية .

قالت "روبين" وهي تجعد الصحيفة في يديها :

- أصبحت على علم -على الأقل- بأسباب سحب المؤسسة هذه المساعدة. بعد خمسة أعوام كاملة لايزال الصحفيون ينغصون حياتي !

عندما لحظ تاجر الصحف تصرفها من خلال نظرة جانبية تظاهرت بالابتسام متجهة إلى الخزانة .

عادت إلى السيارة متحيرة . قامت منذ خمس سنوات بتغيير اسمها بالطريق القانوني . كيف أمكن لهذا الصحفي "بيل مارش" التوصل إلى هذه المعلومة القاتلة ؟ لقد حطم مشروعاتها . سوف تعلم بأسلوب أو بآخر لماذا فعل بها ذلك وكيف ؟ وبأقرب فرصة ممكنة .

توقفت أمام العيادة البيطرية بعد ما اتخذت هذا القرار . تركها "چويي" بمفردها بمكتبه كي تجري الاتصالات اللازمة . اتصلت بمكتب التحرير بالصحيفة وطلبت التحدث مع "بيل مارش" . وكان من دواعي دهشتها أنهم أوصلوها به على الفور .

- السيد "مارش" .. أنا "روبين ماك كينا" . قرأت مقالك .

- يشرفني أن تتصلي بي هاتفيا . أهنئك على المعونة المالية التي خصصت لك . هل أعجبك مقالي ؟

قالت مؤكدة له كذبا :

- إلى حد كبير . إنني أتساءل ببساطة: كيف أمكنك أن تربط ما بين عملي الحالي وحياتي السابقة . كنت قد قلبت صفحة الماضي وإنني واثقة بأنك قادر على أن تتفهم السبب .

- إنني متفهم إياه تماما . وهذا هو السبب في أن هذا المقال يمثل اهتماما إنسانيا كبيرا .

- كيف أمكنك التوصل إلى هذه الحقائق ؟

- تعلمين أننا لا نكشف قط عن مصادر معلوماتنا كقاعدة عامة تحكم أعمالنا؛ لكن حيث إن هذا الأمر متعلق بأحد أصدقائك لا أرى في الكشف

عنه أهمية تذكر ...

- أحد أصدقائي ؟

- نعم . "باتريك برادي" .

فقدت أصابع "روبين" قوتها فجأة فسقطت السماعة من يدها وسقطت المرأة الشابة فوق مكتب "چويي" .

- "باتريك" هو سبب هذه الأحداث التعسة الجديدة !

www.elromancia.com

الفصل العاشر

دفع "چويي" باب مكتبه وفي يده كوب مشروب غازي .
صاح وقد هاله شحوب وجهها :
- ماذا بك يا "روبين" ؟
فقالت بصوت واهن :
- آه لو علمت .
- خذي اشربي قليلا ...
احتست رشفة رغما عنها .
قال :
- ماذا حدث ؟ اخبريني .
روت "روبين" له القصة كاملة . فصاح غاضبا :
- لا يمكنني أن أصدق ذلك !
وهز رأسه :
- مستحيل أن يفعل "باتريك" شيئا مفجعا كهذا .

فقالت بمرارة :
- كيف يستحيل عليه ذلك وهو صحفي ؟ ماساة حياتي لاتزال تحتل مكانها بالصحف .
- أين "باتريك" ؟
- بعيادة الدكتور "مارتن" .
- ينبغي عليك أن تتحدثي معه في الأمر فورا . كل شيء سيتم تسويته. إنني واثق بذلك . لابد أن يكون لديه تفسير لما حدث .
- كنت معتمدة على مبلغ المساعدة المالية ؛ قد ينقضي الصيف بخير، لكن ليس بإمكاني مواجهة متطلبات الشتاء القادم . كل شيء كان يسير على أفضل وجه بحيث لم أمل في أن يستمر يا "چويي" . لا شك في أنه من الأفضل لي أن أتوقف عن هذا النوع من العمل و...
- لا بالتاكيد ! كل الأمور سوف يتم تسويتها . أرجوك .. حدثي "باتريك" .
- هذا فوق طاقتي الآن . ساعود الآن إلى الكوخ .
سمعت نبرات صوتها تدوي في أذنيها أشبه بنبرات طفلة صغيرة حزينة، فتساءلت: عما إذا كانت قد تركت ذات الانطباع في نفسية "چويي" ؟
قال بنبرة إصرار :
- و"باتريك" ؟
أجابته تاركة مقعدها :
- لا يمكنني أن أراه الآن . تعال فيما بعد وخذ متعلقاته التي عندي ستجدها تحت الشرفة .
- "روبين" ...
غادرت المراة الشابة المكتب على الفور .
عندما استقلت السيارة سيطر عليها الأسى وإحساس مخيف بالخيانة . انتظرت قليلا قبل أن تنطلق بالسيارة كابحة دموعها لأن أساها كان أعمق من منابع الدموع .

www.elromancia.com

عندما بلغت الكوخ جمعت متعلقات الصحفي ووضعتها في حقيبته . دهشت أن رأت أصابعها تربت بحنان القميص النائي الذي كانت قد ألقت به بنفسها إلى مؤخرة الفراش بعد أن خلعته عن صدره العضلي في الليلة السابقة . قبضت بيديها على النسيج القطني الناعم ثم ألقت بالقميص إلى داخل الحقيبة مسرعة خشية أن تدس وجهها فيه . انتهت من هذه المهمة في وقت قياسي ثم وضعت الحقيبة تحت الشرفة وأغلقت الباب على نفسها .

عندما غادر "باتريك" سيارة الدكتور "مارتن" رأى حقيبته فوق الأرجوحة فتوقف حيث كان . ما الذي حدث بحق السماء ؟

- "روبين" ؟

وعبثا حاول أن يدخل الكوخ .

صاح وهو يقرع الباب بشدة :

- "روبين" ؟

ولما لم تجبه ظل يضرب الباب بقبضته .

- افتحي أرجوك ! افتحي لي !

وإذ ضايقه طول الصمت الذي خيم على المكان حتى أصابه بالإحباط ركل الباب بقدمه .

- سوف أظل واقفا أمام الباب طيلة اليوم إذا اقتضى الأمر ذلك! سوف تخرجين لا محالة لإطعام الحيوانات. يمكنني الانتظار حتى ذلك الحين .

وبقلب حزين وضع الحقيبة فوق الأرض ليجلس هو فوق الأرجوحة. حدثته "روبين" من خلف الباب بعد بضع دقائق :

- لماذا لم تذهب ؟ ألا ترى أنك قد أنزلت بي قدرا مناسبا من الأضرار ؟

قفز "باتريك" من مكانه إلى الباب :

- لا أفهم شيئا مما تقولينه يا حبيبتي . لماذا أنت غاضبة مني ؟

- ألم يقل "جويي" لك شيئا ؟

- لم أره . دكتور "مارتن" هو من أحضرني إلى هنا . أخبريني بما

ليس على ما يرام .

فتح الباب وظهرت "روبين" عند عتبته وقد غشى عينيها لون أخضر فاتر لا معرفة له به من قبل . كانفت ذراعيها فوق صدرها .

- عليك أن تفسر لي معنى تصرفاتك. استضفتك عندي أما أنت... أنت لم تستطع مقاومة رغبة في كتابة مقال في موضوع حساس أثار ضجة حولي .

- لا أعرف عم تتحدثين. "روبين" أرجوك . لم أفعل شيئا من شأنه المساس بك قط . إنني أحبك .

أدارت ظهرها إليه بعد ما رأت تعبيرات وجهه الجريح .

- لا تقل لي ذلك ! إطلاقا . اتصلت بصديقك هاتفيا .

سألها متحيرا :

- أي صديق ؟

- كاتب المقال الذي حطم حياتي . والذي استمد مادته الصحفية منك.

- لا أفهم شيئا . من ذاك ؟

- اسم "بيل مارش" ألا يعني لك شيئا ؟

مسحت دموعها ثم استدارت نحو "باتريك" . رأت وجهه شاحبا تماما . قالت :

- أرى أنه يعني لك شيئا ما .

- هو كاتب المقال ؟ يا إلهي !.. وماذا كتب ؟

- آه . لم يأت بشيء من عنده ! اكتفى بأن ربط بين "روبين ماك كينا" و"ليليا إكسبري" . وترتبت الأضرار على ذلك بشكل تلقائي .

كان صوتها أبح بفعل المعاناة والغضب .

- وقد قام بهذا الربط بفضل جهودك . هل يمكنك أن تنكر ذلك؟

- "روبين" لم تجر الأمور هكذا . اتصلت بـ"بيل" في الليلة الثانية لإقامتي هنا . كنت قد رأيت قصاصة الصحيفة بدرج المنضدة المجاورة لفراشك و...

لم يتابع الحديث بالقول: إن تلك القصاصة قد أثارت فضوله . فلم

www.elromancia.com

تصبح هناك اية اهمية لإبداء الأسباب التي اصبحت الآن تدينه.

- اية قصاصة صحيفة ؟

- تلك التي تناولت مراسم تشييع جنازة زوجك .

- كنت تعلم إذن ....

أصاب "روبين" غليان ظنت معه انها سوف تتقيا . على ذلك كان يعلم عنها هذا السر ليلة ان صعد إلى حجرتها . وكان يعلمه ايضا عندما تحدثت معه عن زواجها المشؤوم بالمخزن بعد ان مارسا الحب معا .

اغمض "باتريك" عينيه لحظة ثم فتحهما ليتاملها فزعا :

- لم اعلم كل شيء . استطعت فقط ان اخمن بعض الحقائق منذ ان اطلعت على قصاصة الصحيفة وحتى سمعت نشرة الأخبار عبر المذياع في تلك الليلة .

- لماذا فعلت ذلك يا "باتريك" ؟

ارادت ان تكون نبرات صوتها مشوبة بالاتهام لكن الأسى الذي عاشته وضح فيها .

مرر "باتريك" اصابعه في شعره .

- لا اعلم عن ذلك شيئا يا "روبين" . افتتنت بك منذ وقعت عيناي عليك. ربما اكون ايضا قد احببتك منذ النظرة الأولى . اردت ان اعرف كل شيء عنك . بدا هذا التصرف لي بريئا في تلك اللحظة. لم اسع قط إلى إيذائك. ينبغي عليك ان تصدقيني يا حبيبتي .

- ولماذا ينبغي علي ان اصدقك يا "باتريك" ؟

فقال في محاولة يائسة :

- لأنك تحبينني ولأنني احبك !

- هل تظن ذلك ؟ لست واثقة به إطلاقا . هل يمكنني ان احب رجلا حطم حياتي ؟ كنت اظن انني قد احببت زوجي وقد حطم حياتي . والآن انت فعلت ذلك بي .

قال بنبرة حادة :

- سوف اعمل على إصلاح الأمور . اعدك بذلك .

مد نحوها يدا لكنها ابتعدت عنه تلقائيا .

قال غاضبا :

- لماذا لا تريدين ان تصدقيني ؟

احس بان عالمه يضطرب وليس بوسعه ان يفعل شيئا .

اجابته وهي تواصل ابتعادها عنه :

- لأنني لا اعرفك .

قبض "باتريك" راحتيه بطول جنبيه ثم قال مرددا :

- سوف اعمل على إصلاح جميع الأمور . اعدك بشرفي . إنني احبك وسوف افعل كل ما هو لازم لذلك .

حمل حقيبته كي يمضي، لكنه نظر إلى الخلف في اللحظة التي وقفت المرأة الشابة فيها تذرف غزير الدموع وعندما تقدم منها خطوة اغلقت الباب في وجهه .

ظل واقفا في مكانه طويلا يدقق النظر إلى الباب المغلق ويحاول السيطرة على رعشة يديه . لقد ذاق على مدى بضعة أيام حلاوة الحياة كما ينبغي ان تكون . وقد انتهى كل شيء الآن .

دمعت عيناه وهو يتنهد راحلا عن "روبين" وحياتها الجميلة .

www.elromancia.com

الفصل الحادي عشر

رغم جمال فصل الربيع في "نيدلز" بجوه الجميل وألوانه الطبيعية الزاهية المتجددة وتغريد الطيور الذي لا يتوقف كادت "واشنطن" وأهلها ألا تحس بقدومه حيث ضاع فيها لون الخضرة الجميل بين المباني الخرسانية العملاقة وغرق في الأبخرة الملوثة للبيئة التي حلقت فوق المدينة.

لم يشعر "باتريك" بأن الربيع قد حل، لكنه لم يفتقده أكثر مما افتقد "روبين". أولى كل جهده كي ينساها لكنها لم تفارق ذهنه لحظة واحدة في كل مرة غادر فيها بيته راحت عيناه تبحثان وسط زحام الأرصفة ومختلف الأماكن عن امرأة شابة طويلة القامة ذهبية الشعر جريئة الابتسامة.

عاد في إحدى الامسيات بعد مواجهة غير مثمرة مع مؤسسة "وبستر". التي ما طلت طويلا في استقباله بادئ الأمر ليجد شقيقه "جاسون" راقدا فوق أريكته. حين رآه شقيقه صاح به.

- "باتريك" تبدو رهيبا!

- شكرا لك ظننتك في "سيتل".

- إنني في طريقي إلى "نيويورك"... إحساس غامض حدا بي إلى المرور عليك. لديك مضايقات اليس كذلك؟ أتحب أن نتحدث فيها معا؟

أخبر "باتريك" شقيقه التوءم بكل شيء : بالحب الذي أوحت "روبين" به إليه وبالخطأ الذي ارتكبه وترتبت عليه جراح لها رغم أن قصده كان بريئاً.

- لم يبق أمامي سوى المحاولة يا "جاسون" اتصلت بها بعد عودتي منذ أسبوعين بمعدل مرتين يوميا وفي كل مرة كانت تضع السماعة لمجرد سماع صوتي دون أن تنطق بكلمة واحدة.

- مقالاتك الصحفية هي سبب شهرتك . اكتب شيئا.

ثم نظر إلى ساعة يده ونهض:

- ينبغي علي أن أتركك . تقلع طائرتي في غضون ساعة . أرجو أن تحيطني علما بكل جديد.

جلس "باتريك" إلى مكتبه حتى ساعة متأخرة جدا في تلك الليلة عملا بنصيحة شقيقه . ومع اقتراب الفجر جلس إلى آلته الكاتبة يعمل بكل جد. كان كل همه أن يعرض "روبين" كما يراها وكما يعرفها : عالمة بيئة محبة لعملها ومتحمسة له، هادئة الطباع، تعمل بنفسها، باذلة أقصى جهد ممكن لحماية الحيوانات ورعايتها وسط الصعاب المالية الجسيمة التي تواجهها ورغم الماضي المأساوي الذي عاشته.

توجه إلى قسم التحرير بالجريدة التي يعمل بها لتسليم مقاله قبل أن يغير رأيه. فبعد ذلك الذي حدث بينه وبين المرأة الشابة لم يصبح هناك شيء يخشى عليه من أن يفسده هذا السبق الصحفي الجريء، كما لم يصبح هناك مجال للمغامرة أو الخوف من أن يزيد هذا المقال الموقف تعقيدا. بل على النقيض قد يخلق فرصة ما لتقديم بعض المساعدات إليها . تشبث بمثل هذا الأمل حتى يدفع عن نفسه الأسى الذي كاد أن يفتك به.

توجه إلى "نيدلز" في اليوم التالي ومعه دستتان من الورود وصندوق

www.elromancia.com

كرتوني- يحتوي على عدد من علب الألبان من ذلك النوع الذي تطعم "روبين" به صغار السناجب- وجوالان كبيران مملوءان بالحبوب.

كان الليل قد حل قبل وصوله إلى الكوخ . وجد الأضواء مطفأة وباب الكوخ مغلقا، لكنه وجد وسيلة لدخول الكوخ من خلال الحظيرة عندما رأى النافذة المجاورة للسرير النحاسي مفتوحة بقدر قليل.

دخل بهدوء إلى الرواق فوجد "روبين" نائمة تحت نجوم السقف الوامضة في الضوء الخافت . حركت رؤيتها مشاعره . لقد خلق كل منهما للآخر وهذا هو الدليل.

وبمنتهى الهدوء خلع ثيابه ودخل الفراش جاذباً "روبين" إليه .. وعندما نطقت في نومها بكلمات غير مفهومة واقتربت منه تنهد وشدد ضغطه عليها.

ظل ساهرا القدر الأكبر من الليل يفكر فيما عسى أن يكون رد فعلها عندما تستيقظ وتجده نائما في فراشها .

- "باتريك" انهض! فورا!

فقال متمتما بينما اضطربت "پوه" وغادرت الوسادة:

- هممم....؟

- ماذا تفعل هنا؟

كانت عينا "روبين" تلتهمانه وهو ينهض جالسا فوق الفراش . أحست برغبة ملحة في أن تعود إلى ذراعيه. أملت على نفسها أن تقبض بيديها على متكأ المقعد المتارجح.

- جئت لزيارتك.

توترت . هل يمكنه أن يرى أنها قد فقدت ثلاثة كيلوجرامات من وزنها على الأقل؟

أجابته بنبرة فاترة.

- خطوة موفقة.

- أحضرت لك ورودا لكنني تركتها بالسيارة . لابد أن تكون قد ذبلت الآن. وأحضرت لك أيضا طعاماً للسناجب والحيوانات الأخرى وضعته

بالحظيرة. هل هذا مناسب؟

- نعم . أشكرك . وانت بخير؟

- لا . افتقدك جدا.

لم يقم بأية حركة تجاهها، لكن عينيه كانتا مصوبتين نحوها بتركيز كاد أن يكون محسوسا.

- "باتريك" ...

وتراجعت إلى الخلف .

- لدي عمل كثير...

- صارحيني بالحقيقة يا "روبين" . اقرأ في نظراتك أن شيئا ما ليس على ما يرام.

دفعت شعرها إلى الخلف بيد متعجلة.

- تريد أن تعرف ؟ سوف تعرف! الحضانة التي تعمل بالماء الساخن تعطلت أول أمس. أخبرني السباك بأن التوصيلة بأكملها بحاجة إلى استبدال. وليست لدي الأموال اللازمة لذلك في حين أن جميع الأقفاص مشغولة... اضطررت إلى أن أرسل بعض هذه الحيوانات إلى "چويي". من المقرر أن يصلني غدا وكيل عقارات لأنني أرى بيع الكوخ.

- لا !

تارجح "باتريك" فوق قدميه.

- لا تبيعيه يا حبيبتي . كل شيء سوف يتم تدبيره . أقسم بذلك.

وضع يديه فوق كتفيها :

- عديني بألا تبيعيه.

ابتعدت عنه :

- أود تأجيل هذا الموعد حتى يوم الجمعة، لكن لا يمكنني أن أسمح لنفسي بالانتظار مدة أطول. أما الآن فكل ما أرجوه هو أن تنصرف .

لم يناقشها "باتريك" بل تركها لكن بعد أن طبع قبلة عابرة على شفتيها .

عانى قلبه عذاب فراقها ولم يأمل خيرا في المستقبل . كيف يساعد

www.elromancia.com

"روبين"؟

ربما يمكنه الاقتراض من المصرف الذي يتعامل معه بضمان شقته التي يضعها رهنا لذلك الدين؟ لن يترك المراة في هذه الظروف القاسية مهما كان الثمن . وليس باستطاعته أيضا أن يتركها تتنازل عن حلمها الجميل أو تهمله .

قالت "روبين" محدثة نفسها وهي تتامل المروج الخضراء : "هذا غريب! كيف حدث أن فقدت كل مذاق الاهتمام بحيواناتي وأن جميع محاولاتي تبدو مثيرة للملل اليوم ؟" أهذا لأنني موشكة على التوقف عن هذا النوع من النشاط؟"

هزت راسها . لا . السبب راجع إلى أنها قد فقدت السعادة في العمل بسبب غياب "باتريك". أما "نيدلز" فجبالها الجميلة المكللة بالخضرة وسماؤها الزرقاء الصافية وزهورها البرية زاهية الألوان... جميعها بدت رمادية اللون لأن "باتريك" لم يصبح معها يشاركها رؤيتها.

حتى الحيوانات بدت كانها تعاني الفراق منذ رحيله . حتى "ريتز" ظل ينتقل من مكان إلى آخر يضرب بجناحه الوحيد ويصدر أصواتا تدل على الوحدة والاسى، "وبوه" أيضا قضت الساعات تتامل وجه "روبين" كما لو كانت تسالها: إلى اين بعثت برفيقها؟

حدث أن تلقت في بريد صباح ذلك اليوم خطابين مع كل منهما شيك- يشيدان بجهودها المضنية في سبيل الحفاظ على الطبيعة . وبعد ظهر اليوم نفسه تلقت ستة خطابات مماثلة، صاحب أحدها شيك بمبلغ خمسمائة دولار من أجل الحيوانات التي تؤويها.

زادت دهشتها إزاء هذه الأموال المتدفقة عليها فاتصلت في اليوم التالي بـ"چويي" تستوضح منه: إذا كان يعلم شيئا عن هذا الموضوع فاجابها:

إنها نتيجة لسبق صحفي أعده أحد هؤلاء الصحفيين الملعونين.

ارتجفت:

-"باتريك"؟

- نعم . لقد كتب عنك مقالا مذهلا في الأسبوع الماضي حرك مشاعر الكثيرين من القراء وأثار فيهم الأمل في الإسهام في حياة مركزك لحماية الطبيعة.

- لكن... لكن ليس لدي مركز...

- ليس الآن يا "روبين" . سوف أمر عليك اليوم لأشرح لك كل شيء.

وصل عندها بعد برهة قصيرة حاملا إليها ظرفا بني اللون مملوءا بالخطابات والشيكات.

- هذا ما أرسل إليّ من قبل الصحيفة . ومن بين هذه الخطابات أيضا وعد بمنحة مالية قدرها عشرة آلاف دولار سنويا مدة عشر سنوات .

- مستحيل !

- كما ترين ... هناك صحفي واحد على الأقل لم يسع إلى تحطيمك!

تنهدت قائلة:

- لا تقل ذلك يا "چويي" . أفسد "باتريك" كل ما بيننا . كيف يمكنني أن أثق به بعد كل ذلك؟

أجابها بنبرة جافة على خلاف ما اعتادته منه:

- بالتصرف كامراة ناضجة يا صغيرتي !

تابعته بنظراتها يعود إلى سيارته ثم دخلت الرواق وأغلقت الباب عليها. أصبحت لا تدري ممن تعاني بالقدر الأكبر من "چويي" الذي جرؤ على تشبيهها بطفلة صغيرة متقلبة المزاج أم من "باتريك" الذي جلب عليها كل هذه التعاسة . ذهبت تنظر إلى وجهها في المراة . بدا وجهها مضطربا تماما . وزادت الهالات حول عينيها وقتم لونها ونحل قوامها بحيث أصبح أي فقد آخر في الوزن- وإن كان بمقدار بضعة جرامات قليلة- يهدد بان يسقط بنطلونها على قدميها . نعم إنها تفتقد "باتريك" بشدة، لكن كيف يمكنها أن توليه ثقتها بعد كل ما حدث منه ؟

قالت تحدث نفسها :

"لا اتناول طعامي كما ينبغي ولا أكاد انام . ماذا عساي أن أفعل؟"

قفز "ريتز" إلى داخل حوض الاستحمام وسمعت صوتا يصدر عنه

كما لو كان صدى لاستفسارها .

عبثا بحثت "روبين" على مدى الأيام التالية عن إجابة مقنعة . لانها وقد انتهت متاعبها المالية تقريبا اصبح لديها من الوقت ما تقضيه في التفكير في "باتريك" . كان قد وعدها بإصلاح جميع الاضرار وقد نجح في ذلك إلى حد لا يمكن تصديقه؛ معوضا بذلك كافة الاضرار المترتبة على مقال "بيل مارش"، وبما يجاوز قيمتها بكثير . لقد اوفى "باتريك" بوعده وهو ما لم يفعله "چون دوجلاس" طوال حياته ولا مرة واحدة .

جلست فوق الأرجوحة أسفل الشرفة مركزة بصرها على مشهد الطبيعة لكنها لم تر سوى وجه "باتريك": عينيه العسليتين الرقيقتين، وذقنه الجريء، وشفتيه اللتين عرفتا كيف تذيقانها طعم السعادة...

- كيف حالك اليوم ؟

رفعت عينيها نحو "چويي" دون أن يدهشها حضوره لانه كان رسول القدر . قالت :

- أرى انني بسبيلي إلى التصرف كبالغة . هل تعتقد انه سوف يقبل أن يراني ثانية ؟

- إنني متاكد من ذلك وواثق يا "روبين" ... اترغبين في أن تحل "مارج" و"بيتسي" وانا محلك هنا بعض الوقت ؟

قالت بنبرة امتنان صادقة :

- شكرا لك . سوف ارحل على الفور . هل هذا يناسبك ؟

- تماما !

استبدلت بثيابها بنطلونا جديدا من الچينز وقميصا من الستان الوردي الذي يعشقه "باتريك"، وصففت شعرها الذي احاط بوجهها مثل سحابة مذهبة ثم استخدمت قدرا طفيفا من أدوات زينة وجهها وهو ما لم تعبا به إلا نادرا . حملت حقيبة يدها وقفزت إلى سيارتها آملة الا تنزلق عجلة القيادة تحت يديها المتصببتين عرقا .

عندما وصلت إلى "واشنطن" قضت بعض الوقت في البحث عن عنوان "باتريك" حتى اهتدت إلى شقته باحد الاحياء الراقية . دخلت المبنى

وقلبها يخفق بشدة حيث صعدت الدرج إلى الطابق الأول . لم يكن "باتريك" هناك فقررت أن تنتظر عودته مهما طال بها الوقت . جلست فوق المنبسط ومددت ساقيها أمامها .

عندما توقف "باتريك" أمام الكوخ وجد سيارة "چويي" تنتظر بالفناء ورأى "مارج" تطعم صغار السناجب بالحظيرة .

- أين "روبين" ؟

أجابته "مارج" بنبرة معارضة :

- ماذا تفعل هنا يا "باتريك" ؟ عد إلى بيتك .

- أين "روبين" ؟

- ليست هنا .

- سوف انتظر عودتها .

- لن تعود حالا . من الأفضل لك أن تعود إلى "واشنطن" .

واصرت "مارج" على أن يعود "باتريك" إلى بيته . فتوجه إلى العيادة البيطرية مباشرة ولم يستقبله "چويي" بافضل مما استقبلته زوجته .

- ماذا أنت فاعل هنا يا صديقي العزيز ؟ عد إلى بيتك !

- لا تفعل بي ذلك أنت ايضا مثل زوجتك . أريد أن أعرف أين "روبين" ؟ ينبغي علي أن أتحدث معها مرة أخرى .

- ليست في "نيدلز" . عد إلى بيتك .

- ليس قبل أن أرى "روبين" .

- ثق بي مرة واحدة في حياتك يا صديقي . عد إلى بيتك . أؤكد لك انك سوف تفهم كل شيء .

ترك "باتريك" "چويي" وهو يخرج من جيبه مفاتيح سيارته. انتظر قليلا ثم انطلق بسيارته على نحو عصبي . أين "روبين" بحق السماء ؟وهل تغيبها هذا جزء من خطة تهدف إلى تلافي لقائه ؟ ربما أصبحت لا تحتمل فكرة لقائه ثانية ؟ ظلت هذه الأسئلة تلح عليه حتى لحظة عودته إلى بيته . صعد الدرج حتى الطابق الأول يراوده شك في إمكان التغلب على حبه "روبين" .

www.elromancia.com

حين بلغ المنبسط كاد أن يتعثر بساق انيقة ترتدي بنطلونا من الجينز .

- "روبين" ؟

- هذا أنت ؟ طاب مساؤك . كنت قد بدأت أتساءل: عما إذا كنت ستعود هذا المساء ؟

سألها وقلبه يخفق بشدة :

- ما الذي أتى بك إلى هنا ؟

نهضت "روبين" مسرعة حيث أخرجت من جيبها الخلفي قطعة ورق مطوية لوحت بها أسفل أنفه وهي تقول :

- ماذا يعني هذا ؟

دهش عندما رأى أن هذه الورقة ليست سوى المقال الذي كتبه عن موضوعها . هل تسبب بطريق الخطأ في مزيد من الأضرار لهذه المرأة الشابة .

- إنني آسف يا حبيبتي ...

- ولماذا الأسف ؟

- بسبب ... بسبب الأضرار المحتمل أن يسببها مقالي لك ...

- هل تريد أن تعرف ما قد ترتب على مقالك ؟

أخرجت من حقيبة يدها ظرفا كبيرا قدمته إليه وابتسامة عريضة تتألق على وجهها .

فتح "باتريك" الظرف - وقد أصابته حالة من الدوار - فخرجت منه مجموعة من الشيكات تطاير بعضها إلى الأرض . انحنى كي يجمعها فانتزع شيكا -من بينها بمبلغ ألف دولار- منه فأصدر صفيرا مدويا. سأل :

- ما هذا ... ؟

- هذا ما جلبه عليّ مقالك كما ترى . شيكات بالآلاف الدولارات. لم يأبه الناس بما نسب إلى زوجي، بل كان مركز اهتمامهم هو العمل الذي أقوم به اليوم .

ارتسمت على وجهها ابتسامة هادئة قبل أن تخفض بصرها نحو مقدمة حذائها . بدأ يقول :

- حسنا إذن ...

كان بحاجة إلى أن يحرر حلقه :

- هل تغفرين لي ؟

- بشرط أن تغفر أنت لي أيضا .

أحس "باتريك" بارتياح ممتع لدى سماع تلك الكلمات . كادت ركبتاه أن تخوناه وإن اتقدت عيناه رغبة . جذب "روبين" إليه ليضمها إلى صدره بشدة سعيدا بأن تلمس يداه جسدها ثانية .

همست في أذنه :

- مقالك رائع .. لكن هل أنت مؤمن بحق بكل ما ضمنته إياه ؟

- تماما .

خبأ وجهه في شعرها مستمتعا بعطر رحيق الربيع :

- إنني آسف على اتصالي الهاتفي بـ"بيل مارش" . ولا أدري كيف يمكنك أن تغفري لي ذلك .

- أعرف وسيلة لذلك . حين يتم افتتاح مركزي لحماية الطبيعة تشتد حاجتي إلى يد عاملة .. تراودني رغبة في الحكم عليك بالأشغال الشاقة إلى جواري مدة عام أو عامين .

اتقدت عيناها حبا ورغبة . أما "باتريك" فحرر حلقه قائلا :

- من قبيل الإمعان في الاحتياط أرجو أن تحكمي عليّ بذلك مدى الحياة يا حبيبتي .

www.elromancia.com

الخاتمة

تم الاحتفال بعقد القران فوق المروج الخضراء الممتدة من خلف كوخ "روبين" ... وإذا كان فار ابيض ذو ثلاثة قوائم قد استرق بعض الفتات من فوق المائدة ... وإذا كان ذكر بط وحيد الجناح قد لازم خطى العريس فلا لوم عليه. لأنه وقبل كل شيء هذا المكان هو الموقع المخصص مستقبلا لإقامة مركز "نيدلز" لحماية الطبيعة .

وعلى اثر إعلان "باتريك" و"روبين" زوجين حمل الزوج عروسه بين ذراعيه إلى سيارته وذلك لسبب بسيط جدا هو أنها ارتدت ثوبا من الستان الوردي، فلا لوم في ذلك ايضا لأنه وقبل كل شيء رجل حضري وأمثاله من أهل المدن الكبيرة معروفون بسعة الأفق .

تمت